النـظام الـدّولـي الجديـد
رؤية من منظور مختلف في الجذور التاريخية

بقلم : محمّد بالرّاشد

> *لقد استطعنا من خلال عبقريتنا العلمية والتكنولوجية أن نحول العالم إلى مجتمع حوار صغير والآن من خلال أخلاقنا وعبقريتنا الروحية علينا أن نحول مجتـــمع الجوار الصغير إلى مجتمع أخوة انسانية .*
>
> مارتن لوثركنغ : الحياة مع المحيط ط 1978 ص 455

1 ـ من وحي القرن العشرين

تميّز القرن العشرون باحداث ، سريعة ، عنيفة أحيانا ، هادئة أحيانا أخرى ، فهو القرن الذي عرفت فيه الفتوحات التكنولوجية والعلمية أوجها وهو كذلك قرن الحربين الكونيتين ، والثورات الكبرى ، الصينية والسوفياتية التي (= السوفياتية) كان شاهد على قيامها كما كان شاهدا على تصفية مخلفاتها .

وعموما السمات الكبرى لهذا القرن ، نهاية الامبراطوريات التقليدية ، العثمانية ، النمساوية ـ المجرية تخلفها الدولة الوطنية الحديثة لترثها التكتلات الجديدة التي ما فتئت تتدعم مع نهاية هذا القرن يضاف إلى كل ذلك برزت وسائل الأعلام كفاعل جديد على الساحة فجعلت من الأرض قرية عالمية مقلصة من أهمية البعدين الجغرافي والزمني .

ضمن هذا السياق برزت جملة مفاهيم وانتشرت كالدّيمقراطية و العدالة و المساواة و حقوق الإنسان ومن بين المصطلحات التي ظهرت في نهاية هذا القرن مفهوم النظام الدولي الجديد كطريقة لهيكلة العالم وتنظيمه ، ضمن نزعة عامة إلى العولمة أو الكونية ونحن نتحدث عن البيئة كمشكلة عالمية ويتحدث الاقتصاديون عن نمو أو كساد عالمي » (1) .

فماهي دلالات هذا المفهوم ؟ وما هي تمظهراته وأبعاده ؟ وماهي جذوره التاريخية والآثار التي قد تترتب عليه مستقبلا ؟

2 ـ معنى النظام الدولي الجديد :

النظام يستعمل بمعنيين : المعنى الفرنسي والمعنى الانجليزي :

1ـ المعنى الفرنسي Le Systéme: النظام النسق

2ـ المعنى الانجليزي Ordre: الأمر / الأمن / القواعد / الطلب

عند العودة إلى المعنى الأوّل الفرنسي Le Systéme: النظام نرى أنّه يشير إلى كلٌ ، تؤدّي أجزاؤه وظائف أساسية لتأكيد الكل وتثبيته وأحيانا اتساع نطاقه وتقويته ومن ثم تصبح هذه

الأجزاء متساندة ومتكاملة على نحو ما (2) .

- هذا المعنى عرف تداولا كبيرا خاصة لدى علماء الاجماع وخاصة منهم التيار الوظيفي الذي يركز كثيرا على مبدأ : التعاون / التكامل / التوازن / هذه الفكرة تعود في جذورها إلى البيولوجيا التي ترى في الجسد جملة من الأعضاء وكل عضو في الجسد يؤدّي وظيفة محددة وخاصة به وحياة الكل واستمراريتة رهينة استمرارية الوظائف التي تؤدّيها العناصر .

فكرة التكامل هذه نجدها أيضا وبذات المعنى في الانتروبولوجيا في فهمها الثقافات " البدائية " فالمجموعات البدائية كل يتكامل فيه البعدان المادّي والروحي ولا يمكن أن نفهم أيًا منهما بمعزل عن الآخر : فكلاهما مرتبط بالآخر (دراسات مارسيل موس) .

في مقابل المعنى الفرنسي يشير المعنى الانجليزي Ordre الاكراه إلى الاكراه السياسي وعندما يصبح لهذا المعنى بعد عالمي نجد فيه معنيين :

أ ـ السياسة لم تكن مجرد حلم ايديولوجي بالعدالة والمساواة

ب ـ في عالم السياسة لا يقدم القوي تنازلات إلى الضعيف بل سيعمد إلى مزيد الحاق الضعيف به (3)

لكن النظام الدولي الجديد يحمل في طياته البعدين مجتمعين فهو من ناحية يقوم على مساهمة مختلف الدول في بنائه واستمراريته ، فكل الدول مرتبطة ببعضها البعض وهذا الارتباط ما فتئ يتدعم مثلا : الولايات المتحدة في نهاية الثلاثينات هي طرف في 34 معاهدة أو إتفاقية فقط مع الدول الأخرى ، في سنة 1968 هي ملتزمة بـ 282 معاهدة فحسب واليوم هي طرف فيما يزيد عن 1000 معاهدة حرفيا في عشرات آلاف الاتفاقيات حيث تعتبر كل منها مقيدة بـدون أدنـى شك (4)

ومن ناحية أخرى يتحدد هذا النظام الدولي بعوامل ثلاثة مجتمعة :

ـ البعد العسكري	+	البعد الاقتصادي	+	البعد الايديولوجي
الأمن العالمي		الرأسمالية		الليبرالية

وهو بالإضافة إلى ذلك نظام الأمر الواقع العالمي فالدول لا تحتل فيه نفس المكانة عندئذ يمكن القول : إن النظام الدولي مقاربة كونية تطمح إلى النظر إلى الانسانية على أنها نسق واحد أو على الأقل يجب أن تكون نسقا واحدا ، مجمعا عالميا واحدا مرتكزا على أداء الدول فيه لوظائفها كما يجب ، هذه الدول « التي صارت عاجزة حتى عن السيطرة على حدودها بعكس ما كانت عليه في الماضي فهي عندما تحاول إغلاق الأبواب أمام الواردات أو المهاجرين ـ وكلاهما مر ـ نجد الدول المتقدمة تقنيا أنها مخترقة باطراد من الخارج بفيضانات من الأموال والارهابيين والبنادق والمخدرات والثقافات والأديان وموسيقى البوب والايديولوجيات والمعلومات وغيرها وغيرها لقد كان

عدد الذين سافروا سنة 1950خارج حدود دولهم نحو 25 مليون نسمة وارتفع ذلك الرقم بحلول أواخر الثمانيات إلى 325 مليون نسمة في العام ناهيك عن الأعداد التي لا يمكن بأي حال من الأحوال حصرها بالنسبة للمهاجرين غير الشرعيين (5)

فالنّظام الدولي يرتكز على كونية القيم وعالمية المبادئ بمعنى انصهار الدول في وتيرة واحدة ، إنّه اجماع على أهمية تحرير المبادلات التجارية ، اجماع على قيم حقوق الإنسان اجماع على أهمية العلم الحديث ومن خلاله ايمان بمبادئ الحضارة التي انتجته فلقد أضحى من « الملح على العلم أن يعتبر نفسه جزءا لا يتجزأ من الثقافة التي تطور بين أحضانها » (6) على حد تعبير المهدي المنجرة .

إنّ النظام الدولي الجديد رؤية للإنسان كوحدة رغم اختلافه وتنوعه فوحدة الأصل تنفي اختلاف الفروع ، فالدول يجب أن تتجه إلى بناء الإنسان الواحد النموذج لكن مع المحافظة على مكانة الدول فهو لم يلغ مثلا حق النقض ولم يضف أية دولة إلى الخماسي المتمتع بهذا الحق كما لم يضف أية دولة إلى مجموعة السبع المصنعة .

3 ـ النظام الدولي الجديد : الجذور التاريخية

تتجه فكرة النظام الدولي الجديد إلى بناء النموذج الأوحد ، غير أنّنا نجد لهذه الفكرة جذورا في نظريات التنمية التي برزت إثر تزايد الفوارق الشاسعة بين البلدان المتقدمة والمتخلّفة ، فالنظرية التطورية مثلا ترى أنّ المجتمعات البشرية تمرّ من نفس المسار التاريخي الذي يحوي فترات حاسمة ،المرور بها حتمي بالنسبة لكل المجتمعات البشرية ، فالتخلّف بالنسبة إلى المدرسة التطورية ليس إلاّ مجرّد تأخر زمني لا غير « فالنسق الاجتماعي (الصناعي) يمثل الغاية التي ينبغي أن تسعى إليها كافة المجتمعات وهذا التصوّر بعينه هو جوهر لنظريات التحديث الغربية (7) نزعة كونية التجارب التنموية تدعمت بنزعات أخرى وجدت سندا لها في المواثيق الأممية التي كرست المسؤولية العالمية والصفة العالمية لحقوق الإنسان المفرد بصيغة الجمع من خلال الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والميثاق العالمي للحقوق الاقتصادية والإجتماعية والثقافية . حيث نصت المادة 28 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على حق الإنسان في التمتع بنظام اجتماعي دولي يكفل له الحقوق والحريات المنصوص عليها في هذا الإعلان أما المادة 11 من الميثاق فقد نصت على أهمية التعاون الدولي الحرفي مجال تحسين دائم لظروف حياة الإنسان .

لكن لماذا هذه النزعة إلى العولمة ، إلى الكونية ، أي إلى النظام الدولي الجديد ؟ إنّ النظام العالمي لا يتحدّد أبدا بالقوة الاقتصادية فقط ولا بمقدار القوة العسكرية فقط ولا بالعامل الايديولوجي فحسب انه حاصلة * تداخل هذه العوامل الثلاثة ، فالعالم شهد عدة انظمة متتالية فخلال كل حقبة هيمنت على العالم رؤى اقتصادية وفكرية وعسكرية فنجد عصر الهيمنة البرتغالية / الاسبانية (الكشوفات الكبرى) ثمّ السيطرة البريطانية / الفرنسية فنظام القطبين

السوفياتي - الأمريكي وصولا إلى الفترة الحالية التي فسح فيها أحد القطبين المجال للآخر الذي أخذ المبادرة .

ولكن بالرغم من أنّ مصطلح النظام العالمي الجديد عرف رواجا عند مجموعة "بوش" خلال أزمة الخليج (1990 / 1991) على حد قول كاترين كمنسكي وسيمون كروك في كتابهما النظام الدولي الجديد (8) إلاّ أنّ الفكرة العالمية ليست بالمعطى الجديد فهي كانت تظهر في فترات ولو متباعدة منذ القرن 17 (9) ، ففي سنة 1602 قدم الوزير الفرنسي سلي إلى الملك هنري 4 مشروعات لانشاء جمهورية مسيحية تضم جميع شعوب أوروبا وتعمل على حل المشاكل القائمة غير أن هنري الرابع مات وأماط معه اللثام على هذا المشروع ليبرز من جديد كمبادرة من الأب برناردسان عام 1713 تحت اسم مشروع السلم الدولي الدائم ، وأيّد المفكرون هذه الرؤية فروسو مثلا قال بدولة تعاقدية واحدة تشمل كل دول اوروبا وكانط سنة 1875 نشر مشروعا للسلام الدائم أكّد فيه على ضرورة قيام سلم دتئمة ستعد الإنسانية خلالها ، ودعا إلى ضرورة تدوين قانون دولي عام تطبق احكامه على الدول جميعا . وليست الماركسية بدعوتها إلى الأممية سوى نزعة عالمية تبدو طهرا من الاستغلال وما هيئة الأمم المتحدة إلاّ محاولة قد تكون أكثر نضجا لتحقيق هذه الكونية ،إلاّ أنّه يمكن التأكيد على انه انطلاقا من الميثاق العالمي للحقوق الاقتصادية والإجتماعية بدأت مؤسسة النظام الاقتصادي العالمي حين نشأت مؤسسات ووكالات متخصصة بالتعاون الاقتصادي مثل صندوق النقد الدولي الذي أنشىء سنة 1945 والذي حددت المادة الأولى من نظامه الأساسي اهدافه التي من أبرزها « التعاون الدولي على الصعيد النقدي وتوسيع التجارة الخارجية » توسيع التجارة الخارجية في ظلّ المنافسة الحرة نصت عليه كذلك الاتفاقية العامة للتجارة والتعرفة الجمركية المتوقعة لسنة 1947 والتي تعتمد بالأساس على مبدأ « حرية المبادلات التجارية الدولية » ضمن اطار المبادلات التجارية الحرة تأتي أهمية أحد أبرز الفاعلين على الصعيد الدولي وهو الشركات الماوراء قومية أو عابرة الهوية « إن شركات مثل يونيلفر Unileverالتي تعمل في 75 بلدا من خلال 500 فرع أو أكسون Exxonالتي تأتي ب 75 ٪ من عائداتها من خارج الولايات المتحدة ... لايمكن اعتبارها ببساطة شركات قومية »
(10) ووصفت الأمم المتحدة 35 ألف شركة بأنها شركات ما وراء قومية ، لدى هذه الشركات 150 ألف فرع وقد أصبحت هذه الشركة من الكثافة بحيث إن ما يقدر بربع التجارة العالمية يتكون من مبيعات بين فروع الشركة الأمّ . هذا الكائن الجماعي المتنامي الذي لم يعد مقيدا بتلك القوّة بالدولة القومية ، يمثّل عنصرا حاسما في النّظام العالمي المستقبلي (11) .

هذه المنافسة الحرة والتجارة الدولية خلقت « تاريخا عالميا ، فلأوّل مرّة أصبحت كل أمة متحضرة وكل فرد يشبع حاجاته من خلال الاعتماد على العالم كله ومرهونا بالسوق العالمية مدمرة بذلك الانعزالية الطبيعية السابقة للأمم المختلفة، لقد جعلت العلوم خاضعة لرأس المال وانتزعت من تقسيم العمل آخر مظهر من مظاهر طابعه الطبيعي (12)
تدعمت نزعة الكونية وشملت عالمية العلم وكونية حقوق الإنسان ، غير أنّ هذه النزعة ستدخل

في صراع مع الخصوصية الحضارية مثلما يبرز ذلك المعهد الياباني لتقدم البحث في دراسة له نشرت سنة 1988 وحملت كعنوان لها تقرير حول البرنامج الياباني للتسعينات « إنّ النظام العالمي الجديد الذي يمكن نعته بعصر تنوع الحضارات يرتكز على تعايش عديد الحضارات فإذ ا كان التغريب قد ساهم في تنمية العالم على الصعيد المادّي فإنّ حداثة اليابان تشهد على الفرق بين الحداثة والتغريب (13) .

لكن الخصوصية الحضارية لن تصمد طويلا أمام السوق أي أمـــام اقتصـــاد الســـوق لأنّ « الأسواق مؤسسات تشتغل بالأساس في الخارج لا في الداخل بالنسبة إلى الاقتصاد (14) فتصبح بذلك الأسواق المحلية والأقليمية والعالمية والقوميّة متداخلة ولا مناص لها من هذا التداخل و « بالنسبة للجانب الانتاجي يكاد يصبح مستحيلا معرفة الدولة التي تأتي منها سيارة بعينها أو حاسوب بعينه ما دامت قطع السيارة وبرامج الحاسوب تأتي من مصادر مختلفة » (15) .

ونتيجة لذلك صارت حتى أقوى الحكومات مع مصارفها المركزية عاجزة عن السيطرة على أسعار عملاتها في « عالم تتقاذفه أمواج المد العاتية للمال الالكتروني » (16)

لكن هذا التداخل لا يعني إلاّ مزيد ارتباط الدول بعضها ببعض وحتّى الدول الكبرى * مثل اليابان ، الولايات المتحدة واروبا « تحتاج إلى أكثر الروابط ولأكثر علاقات الاعتماد المتبادل تطورا مع العالم الخارجي من أجل المحافظة على اقتصادياتها المتقدمة . وبالتالي فإنّنا نوجد في عالم في منتهى الغرابة، فيه أقوى الدول هي أكثر الدول أيضـــا تقيّـدا بالإلتزامـــات الخارجية . « بهذا المعنى المفاجئ يصبح الأقوى هو الأقل حرية » (17) .

لكن مـثل هذا الكلام لا يعني أنّ اقتصـاد السـوق وحقـوق الإنسـان والعلم هي لوحـدها ميكانيزمات اشتغال النظام الدولي الجديد ، بل يضاف إلى مجمل هذه الأبعاد عنصر آخر لا يقل أهمية عنها ألا وهو عنصر الإعلام الذي قضى على مختلف الأبعاد الجغرافية والزمنية خصوصا بعد طغيان إعلام المشـهد / الصورة الذي حول الناس لا إلى « مشـاهدين أو فاعلين إنّما إلى أشخاص متلذذين بالمشاهد بدون أوهام (18)

وهكذا سيصير الاجماع كدرجة صفر للدّيمقراطية والإعلام كدرجة صفر للرأي العام في انسجام تام : النظام الدولي الجديد هو في ذات الوقت « اجماعي ومشهدي » (19) .

إن الاجماع حول قيم معينة كحقوق الإنسان ، كالدّيمقراطية هو من ركائز هذا النظام الدولي الجديد ولكن الدّيمقراطية في حدود الدولة أي أنه يلغي الثورات ، فنظام الدولة الجديد لا يتقدم إلا بإقامة نظام الحريات لأن الغاية هي أن تكون النظم السياسية في النظام العالمي الجديد أكثر إستقرارا .

فمثلا لو نظرنا إلى حقبة السبعينات لهالنا العدد المرتفع للانقلابات العسكرية مقارنة بالنصف الأول من التسعينات أي أن « زمن الثورات قد ولّى بل إن التغيير قد يكون أساسا في الدولة » (20) وثوابت الاستقرار « تستدعي قيام دولة بالمعنى المؤسسي من ناحية وتحريك ما يسمّى

بالحراك الإجتماعي والسياسي » (21) والنظام السيَاسي المطلوب على الصعيد الدولي « إنما يتجسد في تعميم الهوية السياسية الدَيمقراطية » (22) . أي إذا كان لابدّ من التغيير فإن النظام الدولي الجديد أصبح ينظر إلى ذلك بمنظار غير ثوري ولسان حاله يردد: فليكن التغيير عن طريق آخر غير طريق الثورات .

4 ـ تمظهرات النظام الدولي الجديد :

طرح مصطلح النظام الدولي الجديد بحدّة في مطلع التسعينات وهي فترة تزامنت مع تفكك الكتلة الاشتراكية الأوروبية هذا التفكك الذي ساهم في تجسيد النظام الدولي الجديد لكنه لم يكن العامل الوحيد وعلى إثره برزت قوة عسكرية عالمية مهيمنة هي الولايات المتحدة ، مدعمة بقوة اقتصادية ثلاثية الأقطاب الولايات المتحدة واليابان وأوروبا الموحدة وقوة سياسية هي الأمم المتحدة لتحتوي كل هذه العناصر نظرية الأمن العالمي الجماعي التي تعني تعاون القوى العظمى في مواجهة التهديدات المباشرة وغير المباشرة « للمصالح العالمية » وأصبح الاهتمام مركزا على فن إدارة الأزمات .

عندئذ يتراءى لنا أن النظام الدولي الجديد بني على مثلث غير متساوي الأضلاع نظرا لتفاوت أهمية دور كل ضلع من أضلاعه (الولايات المتحدة / أوروبا / الأمم المتحدة) . ولكنه تمكن على الأقل من أبعاد شبح التوتر بين معسكرين فألغى بذلك ثنائية غرب / شرق .

وعموما ظاهر هذا المثلث الجديد : حقوق الإنسان ، السلم العالمي ، الأمن الجماعي ، الديمقراطية أمّا عمقه فهو ثنائية حادة الشمال / جنوب .

1 ـ شمال متقدم

2 ـ جنوب متخلف سائر في طريق النمو إلا أن نموه لا يخلو من تشويه ، فالمديونية تتضاعف والحروب الأهلية كذلك (الصومال / رواندا / اليمن / بورندي)

« إن الحقيقة ـ المذهلة هي أن الثلث تقريبا من الأعضاء الحاليين في الأمم المتحدة يتعرضون لتهديد حركات التمرد أو المنشقين أو حكومات المنفى ، فمن ميانمار (بورما سابقا) التي تشهد حركات نزوح جماعية من السكان المسلمين والتمرد المسلح لجماعة الكارين ، وحتى مالي حيث تطالب قبائل الطوارق بالاستقلال ومن أذربجان حتى زائير ، تواجه الدول القائمة حركة قبائلية لما قبل القومية حتى لو كانت الشعارات المرفوعة هي القومية » (22)

عمق هذا المثلث كذلك تدهور مستمر للبيئة وتزايد الفوارق بين الشمال المصنع والجنوب الفقير . ويظل السؤال الهام : هل هذه المؤثرات ناجمة عن بداية التأسيس فحسب أم أنها هيكلية ؟ عموما النظام الدولي الجديد ألغى الحرب الباردة والحروب بالوكالة التي خاضها الحلفان وارسو وفر صوفيا .

5 ـ موقع العرب والعالم الثالث :

النظام الدولي الجديد مبني على التكتل فالعالم الثالث مطالب بالاعتماد على النفس من

ناحية والتكتل في شكل مجموعات اقليمية وقارية بما يسمح باحتلال مكانة عالمية من ناحية وفك الارتباط من ناحية ثانية ، فك الارتباط بالمعنى الذي يراه سمير أمين أي أن فك الارتباط لا يعني الانسحاب من ميدان التجارة الدولية بما تعنيه من تبادل وتنافس والتقوقع على الذات ، بل تركيز تبادل متكافئ مع العالم الخارجي وهذا لن يحصل إلا بتدعيم التكتل والترابط بين هذه الدول من ناحية وبناء نسيج وطني داخلي قوي من ناحية ثانية وذلك عبر ديمقراطية الأنظمة السياسية بعناية خلق توجه جماعي مشترك يقوم على التعدد والتنوع دون تمزق أو تجزؤ ولا يقوم على الاستغلال والعنف والارهاب . فديمقراطية الأنظمة السياسية تعطي الأفراد إمكانية المساهمة ، كما تسمح بتكافؤ الفرص . وديمقراطية الأنظمة الاقتصادية بشكل مواز بعيدا عن الدولة النموذج أي الأسلوب الغربي نظرا لاختلاف الموارد الاقتصادية والبشرية وعمق التجارب وما أفرزه من قدرة على التعامل مع التاريخ .

أما الملاحظة الأخيرة فتتصل " باللاعبين السياسيين العالميين "(23) والتي من بينها جماعة السلام الأخضر ذات البعد العالمي والتي هي أحدى المنظمات غير الحكومية ذات البرامج العالمية ، والمنظمات التابعة للأمم المتحدة التي تزداد أهميتها كنسيج مدني عابر الهوية ، والأهم من ذلك هو بروز منظمات ارهابية عالمية مما يفسر رغبة الدول في الوقوف في وجه الجرعة العالمية المنظمة ، كمقاومة المافيا والمخدرات ....

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

*** الهوامش :**

1ـ توفلر (الفن وهايدي) : النظام العالمي في القرن 21 مجلة الثقافة العالمية عدد 5/1995 (ص 17) ترجمة : سعد بن طفلة العجمي .

2 ـ تيماشيف (نيقولا) : نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها : ترجمة جماعية دار المعارف بمصر ط 4 (ص 34)

3 ـ شعيبي (عماد فوزي) : محاولة للمعاصرة ، كيف نفهم النظام العالمي السياسي الجديد مجلة الفكر العربي عدد 78 خريف 1994 (ص 147)

4 ـ توفلر (ألفن وهايدي) المرجع السابق ص 22 / 23

5 ـ المرجع نفسه ص 19 .

6 ـ المنجرة (المهدي) الالتحام بين العلم والثقافة مفتاح القرن الحادي والعشرين عن ندوة « برنامج للبقاء » كندا سبتمبر 1989 .

7 ـ عودة (محمود) الفلاحون والدولة : دراسات في أساليب الانتاج والتكوين الاجتماعي للمجتمع التقليدي ص 20

7 (مكرر)يعرف ليفي الدولة الكبرى على أنها الدولة التي تلعب دورا رئيسيا في العلاقات الدولية المتعلقة بقضايا الأمن ومن مؤشرات الدولة الكبرى : امتلاك مستويات عالية من إمكانات القوة وحدّ معقول من الاعتماد على النفس في أمور الأمن بما يسمح لها بالقيام بعمليات دفاعية

وهجومية والمساهمة في إعطاء الضمانات الدولية واعتراف للدول الكبرى الأخرى بها كدولة كبرى بغض النظر عن حجمها (من حيث السكان والمساحة)

عن خلدون حسن النقيب « الدولة التسلطية في المشرق العربي ص 55

8 ـ KAMINSKY (catherine) KRUK (Simon) le nouvel ordre international que sais je 1er 1993 p 3

9 ـ شعيبي (عماد فوزي) المرجع السابق ص 149 .

10 ـ توفلر (ألفن وهايدي) المرجع السابق ص 20

11 ـ المرجع نفسه ص 20

12 ـ عودة (محمود) المرجع نفسه ص 40

13 ـ المنجرة (المهدي) المرجع السابق ص 14/13 .

14 ـ GAUTHIER (a laine) la trajectectaire de la modérnité representations et images p 131

15 ـ توفار (الفن وهايدي) المرجع السابق ص 19 .

16 ـ المرجع السابق ص 19

16 (مكرر) حاصلة Resultanteفي الرياضيات هي نتيجة تفاعلات عوامل مختلفة .

17 ـ المرجع السابق ص 23 .

18 ـ GAUTHIER (Alain) ibid p 228

19 ـ المرجع السابق : أخذ من BOUDRILLARD (J) la guerre du golfe n'a pas en lieu p 97

20 ـ شعيبي (عماد فوزي) المرجع السابق ص 155 .

21 ـ المرجع نفسه ص 155 .

22 ـ توفلر وهايدي) المرجع السابق ص 18 .

23 ـ المرجع السابق ص 21 .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فـي المـراهقـة الفكـريّـة

بقلم : حسن الولهازي

تتميّز الفلسفة بخاصيتين رئيسيتين : هما النقد والتأسيس . وقد تتغلب احدى الخاصيتين على الأخرى في بعض الفلسفات ولكنهما توجدان في كل فلسفة جديرة بهذا الإسم . أما أن تتبني الفلسفة على النقد والسؤال فذلك يعني أن الفيلسوف تنتابه الشكوك في ما تلقى من معارف . يرى أن كل ما يحيط به يستدعي التفكير والتأمّل . أمّا خاصية التأسيس فتتمثّل في مشاركة الفيلسوف في بناء المعرفة الإنسانية وذلك بطرح تحليل منسجم للموضوع الذي يتناوله . ويمكن أن نعبر عن هاتين الخاصيتين بلفظتي الهدم والبناء . وتجسم فلسفة ديكارت بوضوح هاتين المرحلتين .

فمن يذكر أصالة تفكير أفلاطون في المعرفة أو تفكير ديكارت في المنهج أو فلسفة كانط في العقل أو فلسفة نيتشة في الأخلاق ... كلّ من قرأ كتب الفلاسفة لا شكّ قد شعر بأنهم يعالجون بالفعل قضايا وانهم يطورون معرفة الانسان بذلك الموضوع فهم منتجون في حقل الفلسفة .

أمّا اليوم فقد نشأت بعض الإتجاهات الفكرية واقتحمت ميدان الفلسفة رغم أنّه لا صلة لها بالفلسفة بالمفهوم الحقيقي ، بل الأجدر تسميتها : مراهقة فكريّة ، هذه التسمية معبرة فعلا من الصفات الشخصية لأصحاب هذه الإتجاهات الفكرية فهم لا يختلفون في تفكيرهم عن تفكير المراهق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فماهي خصائص المراهقة وما صلتها ببعض الفلسفات المعاصرة ؟

يشعر المراهق بالغربة عن مجتمعه ويتصوّر أنّه غير مفهوم من قبل غيره وعوض أن يتواضع ويندمج في مجتمعه ، تزيده هذه الغربة غرورا وكبرياء . وهكذا يغدو المراهق من جهة منطويا على نفسه ومن جهة ثانية ثائرا ، ناقما على الأوضاع وناقدا لكل ما يعرض له ، يظهر لنا من هنا أنّ الفيلسوف والمراهق يلتقيان في نقد الأوضاع ، ولكن بين نقد هذا ونقد ذاك فرق كبير .

انّ الفرق الجوهري بين الفيلسوف والمراهق فكريًا هو أنّ الأوّل ينقُد ليبني ويعرف ، بينما المراهق ينقد ليثبت وجوده ، فالأسباب الداعية للنقد عند الفيلسوف معرفية وموضوعية ، بينما أسباب النقد عند المراهق فكريا هي نفسية وذاتية .

ان مشاكل الفيلسوف هي مشاكل الانسان حتى الفلسفات التي تظهر لنا وكأنها ذاتية هي في جوهرها انسانية ، لذلك كتب سارتر « الوجودية فلسفة انسانية » عندما اتهمت الوجودية بانها فلسفة ذاتية ، أما المراهق فكريا فيعكس في آرائه مشاكله الشخصية البحتة فما هي « الأطروحة النظرية » للمراهقين فكريًا ؟ وماهي السمات المميزة لتفكيرهم ؟ .

ان المراهقين فكريا مثل المراهقين حقيقة لا يعجبهم شيء فهم ساخطون ناقمون على كل شيء ومع ذلك سنقتصر في حوارنا معهم على نقدهم للسلطة السياسية والنظام الاجتماعي والعقل .

فمن جهة نقدهم للسلطة السياسية ، يعتقد هؤلاء أن كل المؤسسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية والاعلامية لها وظيفة ايديولوجية تتمثل في نفس الوقت في نشر ايديولوجيا الدولة والسيطرة على الأفراد . فسلوك السلطة السياسية تجاه الأفراد مبني على خطة سياسية تهدف إلى إشاعة الاغتراب واسكاتهم .

وينظر هؤلاء لسلطة المجتمع والمدرسة والأسرة على أنها سلطة قمعية ، وان دورها هو كبت الأفراد وقمعهم ، في حين أن الإنسان هو كائن حر ويمثل قيمة في حد ذاته . وعموما فإن المجتمع في نظرهم ليس هو المجال الذي يجسد فيه الفرد امكانيته بل عكس ذلك يقتلها .

ان هذا الضغط والكبت الذي يعيشه الفرد خاصة تلك السيطرة التي تفرضها الدولة هي في نظرهم تحصل طبق خطة مدروسة مسبقا فهي ليست عضويّة ولا ضرورية ، ولم تحدث لظروف تاريخية وإنما هناك عقل خطط لها لذلك هم يتهمون العقل الذي يخطط للجرائم وهكذا أمكن الحديث عن الجريمة المعقلنة .

يتحدث هؤلاء النقاد المراهقين عن الاغتراب والاستغلال والجريمة المعقلنة ... وكأن هذه الأوضاع تحدث لأول مرة وهي خاصة بعصرهم . وكأنهم كانوا في عصر ذهبي وفجأة نقلوا إلى العصر الحديدي . ولكن هل عرفت البشرية عصرا ذهبيا ؟ ان تاريخ البشرية هو صراع بين مستغلين ومستغَلين كما بيّن ماركس ذلك . وحتى المشاعية البدائية التي يحلو لهم ذكرها فإنها لا تمثل العصر الذهبي إذ باستثناء العلاقات الاجتماعية التي ينتفي فيها الصراع فإن ظروف حياة الأفراد تعيسة علاوة على تدني الوعي . فهل ينتمي هؤلاء النقاد لو وجدوا في العصر البدائي ؟ يصعب إقرار ذلك . وعندما نقول إن البشرية لم تشهد العصر الذهبي فلا يعني ذلك أنه علينا أن نتصالح مع الاستغلال ونقبله كأمر حتمي . فكل فلسفة لم تنشأ إلا لأن الفيلسوف يجد في واقعه ما لا يرتاح إليه . ومع ذلك لم يقف الفيلسوف فاغر الفاه ، ولم يقل إنه وجد في غير عصره ، عكس ذلك قاوم وطرح حلولا . بينما أنصار العدمية بكبريائهم الملائكي ونزعتهم المثالية يعتبرون أنفسهم غرباء عن عصرهم فيبتعدون عن مجتمعهم ليبكوا على الأطلال وان تكلموا زادوا في تعميق الجرح الإنساني ، ان أنصار المطالبة بالعصر الذهبي لا يعملون مثل الفلاسفة على تحقيقه ولكنهم يريدونه جاهزا لذلك هم ساخطون ناقمون مثل المراهقين لأنهم لم تجسّدوا حملهم في الواقع .

قد يعترض على هذا الموقف بالقول إن من حق أي إنسان أن ينقد ويشرّع ، لواقع أفضل . وهل يفعل الفيلسوف شيئا آخر غير التشريع عندما يؤسس موقفا معينا ؟

لا ينكر أحد أن الفيلسوف يشرع أي يبيّن ما يجب وما لا يجب ، ولكن شتان بين التشريع عند الفيلسوف والتشريع عند المراهقين فكريا . فالفيلسوف وان كان يحاكم بعض السلوكات

وبعض الاعتقادات وبالتالي يشرع لنا ما يجب أن نسلكه وما يجب أن نعتقده ، فانه يظل ينشط داخل التاريخ الإنساني ، وعمله وهو مساهمة في بناء الحضارة ، وعلى نقيض ذلك يحاكم المراهق الحضارة الإنسانية ويتعالى على التاريخ ، وان شرع فهو لا يشرع في التاريخ وإنما يشرع للتاريخ . ففي حين يظل تشريع الفيلسوف تشريعا إنسانيا أي أنه تشريع محدود ومتواضع ، يبدو تشريع المراهق بدون وعي من صاحبه وكأنه تشريع الهي للإنسان أي كتشريع مطلق .

هذا الفرق بين نمطي التشريع يرتبط باختلاف بين نوعين من المثالية . لا شك أن كل مشرع مثالي ، ولكن مثالية الفيلسوف تدعو لتجاوز وضع راهن بينما مثالية المراهق فكريا تدعو لتجاوز ما بعده ، تجاوز لذلك ، فتصورات الفيلسوف للواجب ـ وإن كانت مثالية فهي مثالية ـ محدودة متضمنة في التاريخ بينما مثالية المراهق هي مثالية مطلقة لأنها متجاوزة للتاريخ أي أنها لا تدعو للواجب الحيني وإنما للواجب المطلق .

يترتب عن هاتين المثاليتين المختلفتين ، موقفان مختلفان من الإنسان . فرغم وعي الفيلسوف بان الواقع الإنساني يجمع بين الحاكم والمحكوم ، بين السيد والعبد ، بين الظالم والمظلوم ... إلا أنه لم يصل إلى القول أن هناك ممارسات لا إنسانية أو شاذة فما يقوم به الإنسان مهما كان نوعه ، يجب أن يحمل على الإنسان . فالإنسان مشروع تاريخي مفتوح لم تحدد معالمه بعد . ورغم ما حصل في التاريخ وما يحصل الآن من ممارسات تدعو للقرف إلا أن الفيلسوف ـ بعيدا عن التشاؤم المقيت والسلبية والمثالية ـ ظل ينادي بضرورة قبول الإنسان واصلاحه وتحريره من الاستغلال والاغتراب والجهل . فالظالم والمستبد والدكتاتور والمنحرف والمجنون هم بشر في نهاية الأمر . فلماذا لا يكون المستبد الذي يعذب ضحاياه وهو نفسه ضحية الجهل والأنانية والعقد النفسية . بعيدا عن هذه النظرة الاصلاحية الإنسانية النضالية ، فإن المراهقين فكريا يطالبون للإنسان أي لهم مواصفات معينة للإنسان فمن كانت صفاته تتطابق مع تلك الصفات المضبوطة بطريقة متعالية ، غدا إنسانا وإلاّ لما نُعِتَ بالحيوانية وطرد من الحضيرة الإنسانية .

يرفض هؤلاء المراهقون فكريا أن يفهموا الإنسان ، يرفضون أن يفهموا لماذا كانت هناك جرائم ترتكب باسم العقل والإنسانية . ثم كيف يحاكمون الإنسان ويشترطون عليه أن يكون وفق ذلك النموذج والحال أن هذا النموذج هو نموذجهم هم ، فهل يعقل أن يكون الفرد إما ملتزما بتصورهم عن الإنسان والا ما اعتبر انسانا . بصنيعهم هذا لا يختلفون عن المستبدين الذين ينقدونهم . هناك طريقتان في التعامل مع المشاكل الإنسانية . هناك طريقة تقبل المشكلة وتسعى لمعالجتها وهي الطريقة الحكيمة وهناك طريقة لا تعالج المشكلة وإنما تبحث في عدم حصولها .

لنأخذ مشكلة معينة ولتكن مرض السيدا مثلا . هناك من يرى أنه لابد من معالجة هذا الداء وأخذه كمشكل إنساني وهناك من يرى أن مرضى السيدا ليسوا أهلا للمعالجة أو العناية لأنهم مسؤولون عن مرضهم وقد ساروا إلى حتفهم بأنفسهم ، ويرون أن أفضل سبيل لمعالجة هذا الداء

هو ترك المريض يتخبط في مصيبته وهكذا يكون عبرة لغيره . هذا هو منطق أولئك الذين لا يساعدون الإنسان وإنما يشترطون عليه أن يكون نموذجا . هذا المنطق الأخير هو منطق المراهقين الحالمين بالعصر الذهبي وهو منطق يفتقر للحكمة والمعقولية والواقعية .

ان أغلب الناس يفرقون بين الخطأ والصواب ، ولكن هل كل من يعرف الصواب يتبعه وكل من يعرف الخطأ يبتعد عنه ؟ طبعا لا ولو حصل ذلك لما كانت دولة وقوانين واخلاق وحاكم وسجون وربما حتى مستشفيات ... ولو عاملنا كل فرد يرتكب خطأ بإرادته لاضطررنا لمحاكمة البشرية باستثناء هؤلاء المرهقين فكريا الذين يعتقدون انهم لا يخطئون ، إضافة لذلك فلن يكون هناك تطور جدي في الحضارة باعتبار أن تطور الحضارة ينبني على اكتشاف الحلول لتلك المشاكل المستجدة

هؤلاء المراهقون فكريا يخاطبون الفرد بمنطق " ليس لدينا ما نفعل لك . كان عليك أن ... " وهكذا بمنطقهم هم ، فالذي يرتكب حادث مرور ، يجب أن لا نداويه إذ ما كان عليه أن يسرع والذي يصاب بالسيدا يجب أن نتركه لأنه ما كان عليه أن يتناول المخدرات أو يكون شاذا جنسيا مثلا ، والابن الذي يرتكب جناية ، على والده أن يتركه إذ كان عليه أن يعمل بنصائح العائلة . فأي منطق هذا الذي يتحدث عنه هؤلاء الذين يتستّرون تحت رداء الإنسانية وهم أعداؤها ؟

ان الإنسانية ـ باستثناء هؤلاء المراهقين فكريا وكل من عرقل مسيرتها ـ عالجت ولا تزال تعالج مشاكلها . وهي في هذه المعالجة لا تتنقي مشكلة دون أخرى ، تاركة هؤلاء المراهقين بتشاؤمهم المقيت وموقفهم المثالي ومنطقهم اللاواقعي يبكون على العصر الذهبي .

هذا النقد المعرقل للحضارة عند المراهقين فكريا يخفي وراءه هروبا من المسؤولية كما يخفي الغرور والتكبر ولا يخلو من ابتذال قد يخرج بالنقد عن وظيفته .

> الشخص الذي يتخيّل أنّه مصنوع من زجاج ، ليس مجنونا . لأنّ أيّ نائم يمكن أن يحصل على هذه الصورة في حلم ما . لكنه يكون مجنونا إذا اعتقد فعلا أنّه مصنوع من زجاج ، وقرّر وفقا لذلك ، أنّه هشّ وسهل الكسر ، وأنّه لا يجب أن يمسّ أو يتّصل بشيء يسبّب له الأذى والكسر وأنّه ينبغي أن يظلّ جامدا بلا حركة طوال الوقت . **ميشيل فوكو**
> **(تاريخ الجنون)**

الإتحاف التاريخي :

لفظ « الإدام » وتطوّر المعاني من العهد الحفصي إلى العهد الحسيني

بقلم : محمد بن الأصفر المحامي

من المعلوم أن المدينة العربية الاسلامية ، شأنها شأن بقية المدن في العالم تتبع تخطيطا يستجيب لحاجياتها وهذا هو الجانب الوظيفي للمدينة ، فضلا عن البعد الجمالي .... (1)

وقد اتخذت الأسواق في تونس ، عدّة تسميات مثل السّويقة (2) والفنـــدق (3) والرّحبـــة (4) والسوق (5) طبعا ...

ولقد كانت الأسواق ومثلها الفنادق والرّحاب قطاعية في الغالب أي أنّها تختصّ بنوع من الحاجات الاستهلاكية أو بفرع من الفروع فلا يباع الفحم في سوق العطارين مثلا ... (6)

ومما يلفت الانتباه ، انه من بين أسواق تونس في العصر الحفصي وعلى عهد الأمير أبي فارس (1394 - 1434) كان يوجد فندق خاصّ بالأدام ... (7) حسب عبد الله الترجمان فماهو الأدام ؟

جاء على لسان محمد بن عثمان الحشايشي أنّ « الأدم » مما يأكل بالخبز (8) وقد شرح محقق تأليف الحشايشي ، الجيلاني بن الحاج يحي ، أن الأدم ، هو مفرد إدام وهو طعام يخلط مع الخبز ... وهو معنى قريب من المعنى الذي ذكره الرّازي حيث قال : « الأدم والإدام ما يؤتدم به ، نقول منه أدم الخبز باللّحم » (9)

وهنا الإشكال ...

فالإدام حسب الحشايشي وحسب محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرّازي نوع من المرق ، والمرقة (10) فكيف يكون له سوق خاص به أو فندق ؟ بل انه قد كان هناك مجبى (نوع من الأداء) على الإدام أنهى الأمير أبو الفارس العمل به حسب شهادة عبد الله الترجمان (12)

وليست تونس وحدها قد كان لها فندق خاص بالإدام فحتّى المغرب الأقصى قد اشترك في ذلك إذ كان له سوق الإدام (12)

وسبب الاشكالية هو أن عادة بيع المأكولات الجاهزة أي المطبوخة ليست من العادات القديمة في العالم العربي الاسلامي ، فالأسواق توفر للناس السّلع والبضائع اللازمة للطبخ فيحملونها إلى بيوتهم أين يطبخوها ...

ولنفرض أنّ تلك العادة ، أي عادة اشتراء المأكولات جاهزة ومطبوخة من السوق Traiteur قد كانت موجودة ومعمول بها فلا بد ان يكون الأدام مادة لا تهلك ولا تتعفن بفعل الحرارة أو الرطوبة أو غيرهما من ضغوط الطبيعة غير المسعفة بالثلاجات ذلك أن الأمير أبا فارس كان

يسعف الأندلسيين بالمواد المختلفة ومنها المواد الغذائية ومن ضمنها الإدام حسب شهادة عبد الله الترجمان (13) وهذا يعني أن يكون الإدام بالضرورة مثل القديد الذي يُصبرّ لمدد معينة ... ومن المفروض أن الإدام مما يصير على الهلاك والتعفن لمدة عام كامل لأن هدايا الأمير أبي فارس للأندلسيين حوليه أي انها لا تتجدد الا بعد عام كامل حسب شهادة عبد الله الترجمان ؟

فأي ايدام ، (أي مرقه) يصبر على الهلاك والتعفن مدّه عام كامل في ظروف لا ثلاجة فيها ! فمن المفروض أن للإدام معنى ثان إلى جانب المعنى الأوّل الذي ذهب اليه كل من الرازي والحشايشي ذلك ان الإدام بمعنى المرق ليس بوسعه أن يصير لأكثر من ساعات أو من أيام في أحسن الحالات ... لا العام بأكمله !

فما عسى أن يكون الأدام ؟

أوّل ما يلاحظ أن مادة الأدام إما أن تكون مادة غذائية أساسية ، أو أن تكون صعبة التحصيل ذلك أن المجبى الذي كان يرتب على فندق الإدام بتونس مرتفع جدا فهو عشرة أضعاف المجبى المرتب على فنادق لمواد أخرى ليست غير مهمة مثل رحبة الطعام ، والزيت ، والعطارين ، حيث كان المجبى النوي لفندق الادام خمسين ألف دينار بينما كان المجبى بالنسبة للقطاعات الأخرى (الطعام والزيت والعطارين) وهي إمّا حسّاسة أو دالة على الرفاهية لا يزيد عن خمسة آلاف دينار ... (14)

وان أهمية المجبى ، (اي الاداء ات) تزيد في تعقيد الوضع ذلك أن ثاني القطاعات في ارتفاع المجبى هي رحبة الماشية وقدر ذلك عشرة آلاف دينار أي أن مجبى الأدام هو خمس مرات أضعاف مجبى الماشية ! (15)

فماهي المادة الغذائية الأهم والأنفس من الماشية أي من اللحوم ؟

لقد وضع عبد العزيز بن عبد الله سوق الادام بالمغرب الأقصى كمرادف لسوق الزيت حيث قال « سوق الإدام أو قاعة الزيت » (!) (16) ... وهذا ما يجعل التفكير ينصرف إلى شيء قريب من الزيت ... وأن يكون زيتا رفيعا كزيت الزيتونة أو السمن ، فلعلّه السّمن ؟

ان السمن قد كان له وجود في دفاتر الجبائية التونسية وهي ممسوكة بالأرشيف الوطني تحت الاعداد 20- 66 - 205 - 442- 1766- 1786- 1831- 1883 (17) وهو يحمل اسمه المتعارف (أي السمن) وليس الإدام ..

لعلّه الشّحم ؟

ان الشحم يؤكل كمادة غذائية ، قال الرازي : « شمّم فلان أصحابه أطعمهم الشحم ؟ (18) .... ولكن لا يمكن أن يكون المجبى على الشحم خمسين ألف دينارا والمجبى على الماشية عشرة آلاف دينارا .

ولهذا السبب عدنا إلى العهد الحفصي فلقد استعرض برونشفيك عدة مواد غذائية باعتبارها الأهم ولم يرد من بينها الإدام (19) وفي مورد آخر يقول برنشفيك : « لقد كان الغذاء العادي لسكان افريقية مقتصرا على عدد قليل من المواد الأساسية وهي الحبوب من حنطة أو شعير وزيت الزيتون والزيتون والحليب و الزبدة والتمر والسّمن يضاف اليها طبعا الملح (20)

ونلاحظ انه لم يذكر الايدام ولا فندقه ولا المجبي المرتب عليه (!) بينما ذكر زيت الزيتون . ويستعرض برونشفيك الأطعمة مثل الكسكسي والبسيسة والعصيدة والرفيسة والدويدة (21) كما وصف الحسن الوزان أسواق تونس وتجارتها وهي العطارين وبائعي الأشربة والعقاقير المحلاة بالسكر ، وتجار العطور والحرير ، والخياطين والسراجين ... إلخ ... (22)

ثمّ انتقل هو الآخر لوصف الأطعمة التونسية فذكر (البسيس) وهو يعني (البسيسة) والبازين (23) . وبعد هذا العرض لكتابات مؤرخ مختص في العهد الحفصي ولرحالة شهير وهما على التوالي برونشفيك والحسن الوزان ..

وبعد عدم العثور على فندق الإدام ....

يبقى أن نعتقد أنّ الإدام هو مجرد (المرقه) مثلما ذهب إلى ذلك محمد بن عثمان الحشايشي والرّازي ... لكن نتساء ل دائما كيف يكون الطعام خاضعا للأداء وهو أرفع الاداءات في عصره ؟ أم هل أن عبد الله الترجمان كان يطلق اسم (الايدام) على مادة معينة اتضح انها نفيسة نظرا لارتفاع المجبى المسلط عليها وهي ما يقاوم الحرارة ولا يهلك ولا يتعفن إذ كان السلطان أبو فارس يهديها للأندلسيين مرّة في كل عام ... أم أن معنى لفظ (الادام) هو الذي تطوّر ؟

فماهي هذه المادة الغذائية غير المعروفة ؟

سأفترض أنّه زيت الزيتون ! ؟ ! ؟ بل هو زيت الزيتون بما هو ثمين ؟ .

الإحـــالات :

1 ـ الدكتور محمد عبد الستار عثمان ـ المدينة الاسلامية ـ سلسلة عالم المعرفة عدد 128 ـ أوت 1988 ـ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ـ ص 39

2 ـ الحسن بن محمد الوزان الفاسي ـ وصف افريقيا ـ تعريب محمد نجى ومحمد الأخضر ـ دار الغرب الاسلامي بيروت ط 2 ـ 1983 ـ ج 2 ـ ص 74

3 ـ ما يزال فندق الحرير قائم الذات إلى اليوم بتونس وهو كائن بنهج سيدي محرز .

4 ـ روبار برونشفيد تاريخ افريقية في العهد الحفصي (من ق 13 إلى نهاية ق 15) تعريب حمادي الساحلي ـ دار الغرب الاسلامي ـ بيروت 1988 ـ ج 1 ص 378 .

5- Fernand Vatin Les souks de Tunis Sacil mantin de Ré - A Eclercy 1910

6 ـ الحسن الوزان ـ المصدر السابق ج 2 ص 74

7 ـ عبد الله الترجمان ـ تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب تحقيق الدكتور الطاهر المعموري ـ دار بوسلامة ـ تونس 1983 ص 20

8 ـ محمد بن عثمان الحشايشي ـ العادات والتقاليد التونسية ـ تحقيق الجيلاني بن الحاج يحي ـ دار سراس ـ تونس 1994 ص 76

9 ـ محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ـ مختار الصحّاح ـ دار الكتب العامة ـ بيروت ـ لبنان ـ 1986 صفحة 10

10 ـ الرازي ـ نفس المصدر ـ ص 231

11 ـ ع . ا . الترجمان ـ نفس المصدر ـ صص 19 و 20

12 ـ عبد العزيز بن عبد الله ـ تطور الفكر في المغرب الحديث ـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دار لسان العرب ـ بيروت ـ لبنان ـ (د . ت) ص 242

13 ـ ع . ا . الترجمان ـ نفس المصدر ـ ص 17

14 ـ ع . ا . الترجمان ـ نفس المصدر ـ ص 20

15 ـ المصدر نفسه

16 ـ ع ع ب عبد الله ـ المصدر السابق ـ ص 242

17 ـ د . المنصف الفحفاح ـ موجز الدفاتر الإدارية والجبائية بالأرشيف الوطني التونسي ـ الوزارة الأولى ـ تونس 1990 .

18 ـ الرّازي ـ المصدر السابق ـ ص 231

19 ـ برونشفيك ـ المصدر السابق صص 457 و 458

20 ـ برونشفيك ص 281

21 ـ برونشفيك ص 283

22 ـ الوزان ـ المصدر نفسه ـ ج 2 ص 75

23 ـ الوزان ـ ج 2 ـ ص 76

الإتحاف التاريخي:

كانت السنّة الثقافية 1995 ـ 1996 سنة تجريبية لركن الإتحاف التاريخي وسنحاول أن نجعلها سنة النّضج خلال الموسم الثقافي القادم 1996 ـ 1997 التي ستكون شعار ، التاريخ والقانون والحداثة ـ وإلى اللقاء إن شاء اللّه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في العدد القادم

*** ملف الإتحاف الرابع :**

ملفّ : (أصوات من الأدب العربي في مصر) من أعداد الروائي المصري محمد الرّاوي وتقديم الأديب عبد الرحمان مجيد الربيعي .

(أسرة التحرير)

القدّيس سيبريانوس في قربة سنتي 257 و 258 م

بقلم : جلول عزونة

1 ـ تقديم عام

أ ـ ملاحظات أولية :

1) إنّ الإهتمام بتاريخ المنطقة ليس من باب التعصّب ولا من النعرة الجهويّة ولكنّه اهتمام طبيعيّ بمسقط الرأس وبخاصيّاته حتى يفهم الإنسان نفسه بطريقة أفضل .

2 ـ إنّ العلم الحديث علمنا أن تاريخ الشعوب ليس تاريخ الملوك والشخصيات الرسميّة بل تاريخ الكفاح اليومي والنضال من أجل غد أفضل ، وتاريخ الشخصيات المؤثرة في الفكر وفي كلّ مجالات الحياة والتي كان دورها يمثّل تحوّلات مهمّة في سيرورة التاريخ ، والقدّيس سيبريانوس أحد هؤلاء بما أبداه من صمود واستماتة من أجل المبدأ وصل حتّى التّضحية بالحياة ، فبقي مثاله نبراسا مضيئا على مدى القرون .

3 ـ إنّ الإهتمام بالماضي هدفه فهم الماضي والنفس من أجل نظرة سليمة وصحيحة تدعّم موقفنا الحاضر لبناء مستقبل أحسن

ب ـ بماذا تمتاز منطقة الوطن القبلي ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ بخصوبة أراضيها منذ القدم

ـ بكدّ رجالها وأهلها

ـ بكونها منطقة كثر الطامعون فيها من الغزاة لكونها ممرّاً طبيعيّا بين إفريقيا وأروبا . فهي منطقة هجرة ومنطقة حرب وهي لهذا ولقربها من عواصم تونس المختلفة على مرّ العصور ، قرطاج وإوتيكة والقيروان والمهدية وتونس ، تمتاز بتفتح أهلها واتّصالهم الدائم بمناطق الحضارة فقد مرّ بها أقاتوكل ، طاغية سيراكوز وكذلك الجيش الروماني وغيرهم من الغزاة وصولا إلى قوات المحور المنهزمة سنة 1943 والتي حوصرت بالوطن القبلي واستسلمت فيه للحلفاء .

ج ـ 1 ـ حياة سيبريانوس (Thascius Caecilius Cyprianus)

ولد حوالي سنة 200 بعد المسيح ولا تذكر المصادر مكان ولادته ، ولا نعلم إلاّ كونه من أشراف المدينة ونبلائها . وبعد تعليمه الثانوي ودراسة الحقوق ، صار محاميا ومدرّسا بلاغيّا مشهورا وكوّن ثروة وسكن فيلا معتبرة .

ويمكن هنا أن نتساءل إن لم يولد في مدينة قربة ؟ ولكن عندئذ يتسارع إلى الذهن سؤال آخر هل يقع نفي الأشخاص المغضوب عليهم في مدنهم الأصليّة وحذو أهليهم ؟ قد يكون ذلك ممكنا فيكون النفي عندئذ نوعا من الإقامة الجبريّة ! غير أنّ النفي عادة ، كما نعلم ، يتمّ لأماكن بعيدة عن الأهل والأحباب لخلق شعور العزلة والوحدة لدى المضطهدين !

وبعد حياة وثنيّة ، اعتنق سيبريانوس المسيحيّة حوالي سنة 245 وأصبح قسّيسا بعد سنتين (247) ثمّ أسقف قرطاج ورئيسا للكنيسة الإفريقية سنة 249 ـ وسيلعب دورا مهما في نشر الديانة المسيحيّة الجديدة وفي مقاومة البدع والانحرافات التي مرّت بهما الكنيسة . اضطهاد الإمبراطور (Déce Decius) من سنة 249 إلى 252 للمسيحيين ، واضطهاد الامبراطور (من خريف 257 إلى خريف 258) (Valèrien)

وسيدفع سيبريانوس حياته ثمنا لعقيدته ، إذ سيقع قطع رقبته بقرطاج يوم 14 سبتمبر سنة 258 م . (1)

وقد خيّر الإختفاء زمن المحنة الأولى " في مكان آمن لا نعرف عنه شيئا ! فهل يكون في قرية ، أو في إحدى قرى مدن الوطن القبلي ؟ وفسّر اختفاء ه بالسير على خطى المسيح نفسه الذي فرّ نحو مصر عندما كبر الضغط عليه وقال بأن التضحية بالنفس لها آجالها ويجب اختيار الوقت .

أمّا عند انطلاق المحنة الثانية فقد وقع نفيه إلى قرية بعد استجوابه من قبل الحاكم نفسه يوم 30 أوت سنة 257 ونحن نحتفظ بمحضر جلسة الإستجواب كاملا ، وفيه إصرار من سيبريانوس على تمسكه بدينه رغم التهديدات والخطر .

وقال الحاكم (Paternue proconsul) :

ـ إذن ، يمكنكم ، حسب أمر Valèrienو Gallien (Gallus) الذهاب للمنفى في كيريبيس (Curubis) (2)

ـ وقال الأسقف سيبريانوس :

ـ أنا قاصدها الآن ... وقم بما أمرت به " .

وقصد سيبريانوس قرية وهي تبعد بعض الأميال عن قرطاج جنوب شبه جزيرة الوطن القبلي .

وسيبقى سيبريانوس في قرية سنة كاملة ، بقي يسير من هناك بكلّ سريّة وتقيّة أمور الكنيسة يبعث الرسائل ويتلقّى أجوبتها ، يشذ من أزر المسجونين والمعذّبين ويقوّي من عزيمتهم ومعنوياتهم ويبعث لهم بالإعانات الماديّة كذلك ويذكّرهم بعظمة التضحية بالنفس ، اقتداء بالمسيح ذاته ، لأن ذلك هو طريق الجنّة والنجاة ، ويتمنّى على الله أن ينعم عليه هو نفسه بالشهادة .

وقد رأى سيبريانوس يوم قدومه لقرية بالذات رؤيا رمزيّة لما سيلقاه من بعد من استشهاد ـ وقد احتفظ لنا قسّيسه (son diacre pontius) بنصّ الرؤيا (vita 12) وقد سمعها مباشرة من فم سبيريانوس بالذات .

وهو ما سيحصل فعلا إثر استدعا ء ه إلى قرطاج ، فاختفى مجددا حتّى لا يستجيب لدعوة الحاكم له بالقدوم إلى مدينة أوتيكية لأن سيبريانوس يعتقد أن على الراعي (المسؤول) أن يستشهد في مدينته ، حنو رعيته حتّى يعطي المثل بتضحيته بصورة مباشرة .

وقد أظهر سيبريانوس حنكة كبيرة في تسيير شؤون الكنيسة الإفريقية وتحصين وحدتها ووقوفها في وجه كنيسة روما وأحيانا البابا نفسه ـ Etienne ـ وإن كان سبيريانوس يعترف ـ بأولويّة بابا روما ـ لأنّه خليفة القديس بولس الأولويّة المعنويّة فإنّه يناقشه ويعترض عليه في

أمور عديدة ، وقد وجد سيبريانوس شبه إجماع كلّي حوله عند انتظام عديد مجامع الأساقفة التي كانت تلتئم مرتين في السنة ، كلّ ربيع وكلّ خريف ويصل عدد الحاضرين إلى 87 أسقف أحيانا (سنة 256 مثلا ، غرة سبتمبر) وبلغ عدد أسقفياتها إلى 150 .

وقد كان Tertullien ثمّ تلميذه سيبريانوس من أوّل منظري الديانة المسيحيّة وقد اختارا الكتابة باللاّتينية خلافا لرجال الدين المشارقة وحتّى في روما والذين كانوا يؤلفون باليونانيّة فالآثار المسيحيّة الأولى باللغة اللاّتينيّة كانت من إنتاج الأفارقة إذن .

2) لماذا النفي في قربة ؟

هذا سؤال وجيه ولا شكّ .

ـ ألقُربهَا من قرطاج ، حيث يمكن القدوم إليها والخروج منها إلى قرطاج في نفس اليوم تقريبا ، وذلك ممّا يسهّل مراقبة رئيس المسيحيين المغضوب عليه ؟ أم أن مدينة قربة تمثّل مركزا مهمّا في الوثنية ، فيمكن عزل سيبريانوس فيها ؟ وتدعيم شعوره بالغربة هناك ، رغم قرب قرطاج ؟ أم أنّ قربة ، هي مسقط رأس سيبريانوس . فيكون نفيه فيها من باب الإقامة الجبريّة ؟

وهل يكون اختفاء سيبريانوس عند المحنة الأولى (محنة واضطهاد Déce وقبيل استشهاده بأيّام تمّ في قربة أو في غيرها من مدن وقرى الوطن القبلي ؟

كلّ هذه مجرّد افتراضات فقط ، لا تعتمد على أيّ وثيقة لأنّ كلّ تلك الوثائق قد ضاعت مع الزمن ، ولكنّ الثابت من كلّ هذا ، هو اختيار حاكم قرطاج (Le Proconsul) قربة كمنفى لسيبريانوس ؟

3) وهنا ، لابد من الإشارة إلى بعض الأمثلة التاريخية الأخرى التي وقع الإختيار فيها على الوطن القبلي كمنفى ـ مع تغيّر الظروف طبعا والمعطيات والملابسات ـ من ذلك نفي العالم صالح الكوّاش إلى منزل تميم بعد غضب الباي منه (3) لأنّ الشيخ اتهم بمقال سوء في جانب الباشا باي الحسيني (علي باي الثاني) ، فنفاه إلى منزل تميم وبقي بها شهرا ، ثمّ سرّحه ... وكان هذا الشيخ نادرة دهره في ثبات الجأش في تغيير المنكر ، لا يخشى في الله لومة لائم وكان مولده سنة 1137 هـ 1724 م وتوفيّ سنة 1803 م .

ويمكن أن يكون نفيه إلى منزل تميم لوجودها قرب الصقالبة وهي من أهمّ مراكز المعاوين الذين يدينون بالولاء والطاعة للبايات ويمثّلون أنصارا للسلطة وعيونها ، فيكون مقصد النفي إهانة هذا العالم غير الراضخ للسلطة ، من ناحية وضمان الإطمئنان من شرّه من ناحية ثانية بوضعه تحت أنصار لا يشكّ في إخلاصهم . ولا شكّ أن موقع منزل تميم ، مثل قربة ، وقربهما من العاصمة مثّل عاملا أساسيًا في اختيار موضع النفي ، لأن النيّة في الحالتين (صالح الكواش وسيبريانوس) هي دعوة المنفيّ في أقرب وقت ممكن .

وقد بقي حاكم قرطاج الجديد Galerius Maximus ينتظر الأوامر الواضحة من الإمبراطور في خصوص الموقف من رؤساء المسيحية ، فبعد أن تلقّى سلفه الأمر بنفي سيبريانوس ، جاءت التعليمات الجديدة إليه بقطع رقبة كل الأساقفة والقساوسة والرؤساء وسجن

وتعذيب المؤمنين بالدين الجديد ، وهو ما سارع بتنفيذه ، فيكون الوطن القبلي محطّة ـ مهمّة لا محالة ـ ولكنّها محطّة في حياة النضال والصمود .

2 ـ مؤلفات القديس سيبريانوس :

1) المؤلفات النظرية والدعائيّة :

حوالي 14 رسالة وبحث ، منها البحث الذي كتبه بمدينة قربة والمعنون ب -Ad Fortuna tum ، وكان تأليفه في خريف سنة 257 م ـ في أوّل قدومه لمنفاه .

وقد ألّف هذا البحث بطلب من المسمّى Fortunatus(4) وهو عبارة عن مجموع مقالات واقتراحات تعتمد على نصوص مستمدّة من الكتاب المقدّس (5)

2) الرسائل :

لقد ترك لنا القدّيس سيبريانوس عددا مهمّا من الرسائل (59 رسالة كتبها هو بنفسه) ، وهي ثريّة بالمعلومات وغنيّة بأسلوبها الراقي ، والقديس سيبريانوس الذي شغل خطّة مدرّس بلاغي وخطيب قبل اعتناقه المسيحيّة ، كان يتمتّع بثقافة متينة امتاز بها على معاصريه وخصوصا على إطارات الكنيسة لذلك العهد الذين كانوا في غالبيتهم ، متوسّطي الثقافة وأحيانا شبه أمّيين وبسطاء ، ومن هؤلاء بابوات روما نفسها .

6 ـ رسائل هي عبارة عن رسائل مجامع الأساقفة ، وهي ولا شك ، في جلها من تحريره هو أساسا .

16 ـ رسالة من معاصريه ، تلقّاها منهم وأجاب عنها .

ويكون مجموع الرسائل إذن : 81 رسالة

وفي قربة ، تلقى سيبريانوس ثلاث رسائل من زملائه الأساقفة المسجونين ، جوابا عن رسالته الطويلة نسبيًا (عدد 76) والتي تجدون ترجمة شخصيّة لها في آخر هذه الدراسة .

الرسائل الثلاث التي تلقّاها سيبريانوس بقربة :

1) الرسالة عدد (77)

هي تمتدّ على صفحتين اثنتين وقد كتبها أربعة أساقفة هم - Victor - Felix - Dativus Nemesianus وفيها يذكرون قيمة رسائل سيبريانوس إليهم وإلى المؤمنين ودورها في إظهار الطريق المستقيم وفي تقويّة الإيمان وفي كسب أنصار جدد للمسيحيّة التي بدأت تنتشر وممّا جاء فيها :

1 ـ 1 " إنّكم ، بما تضعون من خير كبير في عديد الكتب التي نشرتموها ، إنّما قمتم بتسطير رسمكم أنتم وخصالكم . إذ لا يوجد لكم مثيل في تقديم أوجه الدين في دروسكم ، وفي فصاحتكم فيما تنطقون به ، وفي حكمتكم في النصائح ، واستقامة في سيرتكم ، وكرم مع التقوى ، وشظف في الحياة ، وتواضع في العلاقات ، وقداسة في الأفعال "

وفي نفس الرسالة إشارة إلى موقف سيبريانوس أمام حاكم إفريقيا Aspasius Paternus وما أجاب به عندما طلب منه ترك الديانة الجديدة ، ممّا دفع بالحاكم إلى نفيه إلى قربة (6)

وهو بذلك قد كان بمثابة القدوة لكلّ المؤمنين :

2.2 " ونحن نعتقد ، يا عزيزنا الكبير ، أنّ روحك المقدّسة ستفوز بأكبر أجر ، إذ سيضاعف الله لك الأجر من واحد إلى مائة ، لأنّك لم تخف من التصدّي للهجومات الأولى لهذا القرن ، ولا من الذهاب للمنفى ، فلم تتردّد في ترك المدينة ولم تخش من البقاء في مكان قفر (7) .

3 ـ 1 ـ " لذلك إنّ كلّ المحاكمين معنا يتوجّهون إليك ، أمام الله ، ويتمنّون لك أكبر الأعمال المرضية ، يا عزيزنا الكبير سيبريان ، بما حملت إلينا رسالتك من عزم للقلوب المنهدّة ، وشفاء لأعضائنا المجروحة بضربات العصيّ ، وبما خلّصت أرجلنا من عراقيلها ، وبما زيّنت من جديد من شعر رؤوسنا نصف المحلوقة لقد أضا ء ت رسالتك دياجير السجن وسهّلت جبالنا المعدنيّة ، ومكّنتنا من تنسّم طيب الأنوار وقشّعت روائح دخان قبيحة . » ثمّ يعلّمونه بتوصلّهم بالإعانات التي وجّهها إليهم عن طريق Quirinus ونائب القس Herennius وكذلك الإخوة , Lucanus Amantiusو Maximus وقد وقع توزيع تلك الإعانات التي ساهمت في الإستجابة لحاجياتهم . وأنهوا الرسالة بالسلام والدعوات . / هل رجال الكنيسة الموفودون من سكّان الوطن القبلي ؟ أو من المنفيين مع سيبريانوس ؟ /

ب ـ الرسالة عدد (78)

وهي موجّهة لسبريانوس من الأسقف Lucius وتمتدّ على مدى صفحة ونصف . وقد وصلته ، هو وصحبه ، عن طريق نفس الرسل المذكورين في الرسالة السابقة ، وبها نفس الأفكار تقريبا من ذكر لدور سيبريانوس في شحذ الهمم للمقاومة والاستبسال في الموقف ومن تأكيد على وحدة المؤمنين أمام القمع كما طالب بذلك سبريانوس في رسالته إليهم (عدد 76) . وكذلك للاستعداد للاضحية بالحياة كما تنبأ بذلك قدّيسنا في رسالته ، ويعلمه Lucius كذلك بوصول الإعانات الماديّة .

ج ـ الرسالة عدد (79)

وهي موجّهة لسيبريانوس من ثلاثة أساقفة : Jader ، Felix ، Polianus ومن القساوسة وممّن كان بمنجم مدينة Sigus (قرب قسنطينة) ، وهي رسالة قصيرة ، لا تتجاوز نصف صفحة وقد حملها إليهم ثلاثة مرسلين لا أربعة كما جاء في الرسالة السابقة . (8) وفيها ذكر لتلقيهم الإعانة الماديّة وشكر على ما جاء من تشجيع معنويّ في رسالة سيبريانوس .

والأساقفة المذكورين في هذه الرسائل الثلاث ينتمون للمدن التّالية :

1 - Nemesianus de thubunae (Tobna)
2 - Litteus de Gemellase (Mlili)
3 - Polianus de Mileum (Mila)
4 - Jader de Midili
5 - Davitus de Vada (Badis)
6 - Felix de Bagai
7 - Felix de Bamaccora (pres de Mila)
8 - Lucius de Castra Galbae
9 - Victor d'octavu

ورسائل سيبريانوس مهمّة جداً وتحتوي على عدد لا يحصى من المعلومات حول تاريخ الكنيسة ونشأتها ونظامها وطقوسها في منتصف القرن الثالث بعد المسيح ـ ومن ذلك ما تشير إليه مباشرة حول المحنتين اللتين تعرّض فيهما المسيحيون خلال ثماني سنوات فقط وانقسامان داخل الكنيسة ، سبعة أو ثمانية مجامع للأساقفة ـ والخلافات العميقة التي شقّت الكنيسة إلى موقفين حول أمور المرتدّين تحت الإكراه وغيره ، وشخصية سيبريانوس تقف شامخة وسط كلّ هذه الأحداث ، توجّه وتعلّم التسامح والمحبّة .

3 ـ **الرسالة التي كتبها القديس سيبريانوس في قرية (كيريبيس) ما بين أوت** 257 **وأوت** 258 **وهي السنة التي قضاها هناك منفيا قبل استشهاده** (1)

الرسالة عدد 76

من سيبريانوس الى نيميزيانوس ، فيليكس ، لوسيوس ، فيليكس (آخر) ليتّيوس ، بوليانوس ، فيكتور ، جادر ، داتيفوس ، زملائه في رتبة الأسقفية ـ ومنه أيضا إلى زملائه القساوسة والآباء وإخوانه الآخرين الموجودين في المنجم (2) شهداء الله الأب الأعظم وشهداء المسيح سيّدنا وربّنا المنجي ، تحيّة دائمة .

1 ـ **انّ العظمة التي** تحصّلتم عليها ياأسعد وأعزّ الإخوة ، كانت تفرض **على أن أقدم إليكم شخصيًا لأراكم وأقبّلكم** ، لولا إقراري باسم المسيح الذي دفع بي بدوري **إلى أن أنفى في هذه البقعة وأن يفرض عليّ** عدم مغادرتها ، **ولكنّي معكم بقدر** ما في مستطاعي ، **وان كان من غير الممكن لي جسمانيًا التحوّل قربكم فإنّي على أقل تقدير أحلّ وسطكم بفكري وقلبي ، إنّ رسالتي هذه ستظهر لكم مدى غبطتي القلبية لشجاعتكم وعظمتكم ، وان كان جسمي لا يشارككم عذابكم فإنّي أقاسمكم مصيركم وأشارككم حالكم بالمحبّة التي تجمعنا فالتحم بكم تماما ـ** 2 **ـ فهل يمكنني أن أصمت أو أحبس كلماتي وأنا تصلني عنكم كلّ هذه الأخبار التي تحكي عن أعمالكم العظيمة التي شرّفكم الله بها ؟ إن منكم من استشهد بعد . لقد كانوا أوّل من قصد الله ليتلقوا منه التاج الذي أهلتهم له خصالهم . أمّا الآخرون ، فإنّهم لا يزالون يقبعون بين جدران السجون أو في المناجم يكبّلهم الحديد ، وهم بمثالهم الكبير يقدّمون لإخوانهم أهمّ العون لتشجيعهم ـ بصبر . وبقدر ما يتأخّر استشهادهم ويزداد عذابهم ، سيزداد نصيبهم من الأجر تماشيا مع طول فترة الانتظار هذه ، لأنّهم سيتحصّلون عند توزيع الجوائز السماوية ، على أسهم بقدر المحن والأيّام التي شهدوها !** 3 **ـ وأنا لم أفاجأ لتطوّر الأمور على هذا النحو ، أيّها الإخوان الشجعان كثيرا والسعداء كثيرا ، وبالخصوص لـ ـت الاله إليكم وتكريمه إيّاكم برفعكم إلى عنان النصر نظرا لتديّنكم وإيمانكم . وقد أظهرتم دا في كنيسته إيمانا قويًا وصلابا في الدفاع عن الحقيقة ، وحازمين في التمسّك بقساوة الحدود = 4 = وزيادة على كلّ ذلك وحتّى لا ينقص شي ء من**

جمال القدوة التي تمثلونها ، وأنتم الآن ـ وأفواهكم تلهج باسم المسيح وأجسادكم تتعذّب من أجله ـ فإنّكم تهيّجون أرواح إخوانكم وتدفعونهم دفعا نحو الشهادة الربّانية ، وأنتم ترسمون إليهم طريق الشجاعة وهكذا فإنّ القطيع ـ وهو يتبع رعاته ويسير على منوال رؤسائه ـ يتهيأ بخصال مماثلة لخصالكم ليتلقى من الله نفس التاج .

2 ـ 1 ـ لقد ضربوكم بالعصيّ بشكل فضيع ، قبل وضعكم في المنجم ، وبذلك فتحتم طريق الخلاص والاعتراف ، وهو شيئ لا نتأسف له . لأنّ العصا التي لم تخف المسيحي تمثّل بالعكس بمادتها الخشبية كلّ الآمال . إنّ خادم المسيح تعرّف في العصا على أداة خلاصه العجيبة ، إنّ الخشب هو الذي اشترى نفسه للحياة الأزلية ، وبالخشب تتقدّم على طريق التتويج ـ 2 ـ أين العجب يا ترى في وضعكم في المنجم ـ وأنتم مزهريات من ذهب وفضّة ـ يعني في أماكن الذهب والفضة ـ ، إلا كون المناجم قد غيّرت طبيعتها ، فبعد أن كانت تلك الأماكن في العادة تعطي الذهب والفضّة صارت تتلقّى تلك المعادن الثمينة ؟

3 ـ ولقد وضعوا كذلك عراقيل في أرجلكم وأوثقوا أعضاءكم بحبال لئيمة ، هكذا فعلوا بهذه المساكن الربّانية وكأنّه بالمستطاع حبس الروح عند حبس الجسد ؟< أوكانّ مسّ الحديد يمكن أن يدنّس وهج الذهب إنّ هذه السلاسل وهذه العراقيل بالنسبة لرجال وهبوا أنفسهم لله ويؤكّدون إيمانهم بشجاعة دينيّة لا مثيل لها ، ليست قيودا بل زينة لهم . إنّها لا تهين الأرجل التي تقيّدها بل هي تزيدها عظمة وبهاء . أيّتها العراقيل السعيدة ، إنّك لن يحطمك الحدّاد بل الرب ! أيتها العراقيل السعيدة التي تمكّن من الذهاب قدما على الطريق السريّ نحو الجنّة ! أيّتها القيود العزيزة التي لا تقيّد إلا لحظة في هذه الدنيا لتسمح بعدها بالحريّة الدائمة في الأخرى بصحبة الله ! أيّتها القيود والعراقيل الراضية ، إنّ الأرجل التي تجعل خطواتها غير واثقة لبعض الوقت ستسرع نحو المسيح على طريق النصر . لتحجزك الوحشيّة الحاسدة والمتحايلة كلّ الوقت الذي تريد في هذه العقد والحبال ، فلن يمضي وقت طويل حتّى تتخلصون من آلام الأرض وتصلون لمملكة السماوات .

4 ـ إنّ الجسم هناك في المناجم لا يمتلك سريرا ناعما بالدفء ليرتاح فيه . ولكن المسيح بالنسبة إليه يمثّل الاستجمام والراحة . إنّ الأعضاء التعبة تتمدّد على اليابسة ولكنّ هذا التمدّد لا يمثّل شقاء طالما يكون مع المسيح . إنّ الحمّامات غير متوفّرة هناك ولا نظافة الجسم ولكن الجسم إذا ما حافظ على أوساخه الخارجيّة ، فإنّ النفس تكون صافيّة داخليّا . إنّ الخبز لا يعطى هناك إلاّ بكميّات صغيرة . ولكنّ الإنسان لا يعيش فقط بالخبز . إنّه يعيش كذلك بكلمة الله . إنّكم تحسّون بالبرد وتنقصكم الثياب ولكن الذي تدثّر بالمسيح إنما هو مكسوّ جيّدا وزيادة ، بل هو مزيّن ، إنّ الشعر مشعّث وبلا نظام فوق الرؤوس نصف المحلوقة ، ولكنّ كلّ شيء يتماشى مع الرأس التي أقرّت بالمسيح فعجلها ذلك عظيمة لأنّ المسيح هو رأس الإنسان .

5 ـ إنّ كلّ هذا القبح الذي يبدو مكروها وشنيعا لعلياء القوم ، سيتبع ويجازي بكلّ أبهة . ففي مقابل هذا النصف المؤقت والقصير ، كم هو الفوز الدائم عندما يعيد الربّ تشكيل جسمنا الفاني على نمط جسمه المعظّم كما بشّرتنا بذلك كلمة الحواريّ السعيد !

3 ـ أ ولا تظنّون أبدا ، يا إخوتي الأعزاء ، إنّكم تتألون في إيمانكم وفي دينكم لأنكم كقسّيسين للرّب ، لم تستطيعوا القيام بصلواتكم وبشعائركم ولم يكن في وسعكم قيادة الناس نحو الله .

إنّكم تقومون بواجباتكم وتقدّمون لله تضحيّة نفيسة ومشرقة في الآن نفسه ، وهي ستكون لديكم خير زاد للتمتّع بثواب السماوات لأنّ الكتاب المقدّس يقول :

« إنّ النفس التي تصيبها مصيبة هي بمثابة القربان لله . »

« إنّ القلب المحطّم والمهان لا يحتقره الله أبدا »

2 ـ إنّما تضحيتكم تلك لله ، وهي تضحيّة تحتفلون بها ليل نهار وبدون انقطاع ، فصرتم قربانا لله ، تقدّمون أنفسكم كأضحيّة مقدّسة وبلا عيوب حسب نداء الحواري :

« أناشدكم يا إخوتي ، باسم رحمة الله ، أن تجعلوا من أجسامكم قربانا لله ، مقدّسا ومقبولا من الله . وأن لا تتّبعوا أهواء زمانكم ولكن أن تتغيّروا حسب عقليّة جديدة حتّى تتعرّفوا على إرادة الله ، فيتبيّن لكم الخير والسموّ وتعلمون ما يعجب الله » .

4 ـ أ ـ هذا هو فعلا ما يمكن أن يرضي الله ، وهذا هو الذي سيعطي لأعمالنا جدوى أكبر حتّى نتحصّل على رضى الله ، وهذا فقط هو الذي سيمكّن إيماننا وديننا أن يعطيا لله المقابل الكفء ، شكرا له على نعمه الثمينة ، وهذا فعلا ما يصرّح به بكلّ وضوح الروح القدس في الأناشيد .

« ماذا تراني أعطي لله مقابل كلّ النعم التي حباني بها ؟ »

« سآخذ شراب النجاة وألوذ باسم الله . إنّ موت العادلين ثمين أمام الله »

2 ـ من يا ترى لايأخذ عن طواعيّة ويفرح « كأس النّجاة » ؟

من يا ترى لا يفتتم بفرح وسعادة فرصة ردّ الجميل لسيّده ولو قليلا مقابل ماقام به نحونا ؟ من لا يتقبّل بشجاعة وقوّة جاش « ميتة ثمينة أمام الله » . بها نرضي عيون الذي يرانا من فوق ونحن نقاوم من أجل إسمه ، فيبارك كلّ من قبل المقاومة ويعينهم في معركتهم ويتوّجهم بعد النّصر ، مجازيا فينا بطيبته الأبويّة وعطفها ما ألهمنا للقيام به ومكرّما ما صنعه هو نفسه فينا .

5 ـ أ ـ إنّنا به سننتصر لا محالة وسنفوز على الخصم المغلوب ونحمل شارة نصر أكبر المعارك . هذا ما أعلنه الله في إنجيله :

« عندما يقبضون عليكم ويسلّمونكم (للقضاء) ، لا تتعبوا أنفسكم حول الطريقة التي ستجيبون بها عن أسئلتهم أو حول محتوى الإجابة . إنّ ما يجب أن يقال سيلهم إليكم إلهاما في اللحظة ذاتها ، لأنكم لستم أنتم الذي ستتكلّمون ولكن روح أبيكم ستتكلم فيكم . »

وقال كذلك .

« يجب أن تقتنعوا أنّه ليس عليكم التفكير مسبقا بما يمكن أن تقولوه لتدافعوا به عن أنفسكم إنّي سأعطيكم كلاما وحكمة لا يستطيع خصومكم لهما صداً . »

2 ـ إنّ هذه الكلمات يجب أن تبعث في المؤمنين أكبر الثقة في النفس ، وهي تظهر في الآن نفسه الفداحة الكبرى للإثم الذي يرتكبه الكفّار بما كذّبوا الذي وعد عونه لكلّ من اعترف به ، وبما أظهروا من عدم الخوف من الذي توعّد الذين ينكرونه بعذاب دائم .

6 ـ أ ـ إنّ هذه المشاعر ، يا جنود المسيح الشجعان والأوفياء ، قد غرستموها في قلوب

إخواننا ، بتطبيقكم بالمحسوس ما كنتم تعلّمونه من قبل بالكلام . ستكونون من العظام في مملكة السماوات لأنّ الاله قام بهذا الوعد .

« إنّ الذي يعمل ، ثمّ يعلّم ، يكون الأعظم في ملكوت السماوات »

2 ـ أخيرا ، إن قسما كبيرا من المؤمنين المتّبعين لمثالكم قد أعلنوا منكم انتماءهم الديني ، وهم منكم قد توّجوا ، وتوحّدوا بلا فكاك مع رؤسائهم رغم السجن والمناجم ومن ضمن هؤلاء هناك حتّى العذارى اللاّتي كسبن أجرا مضاعفا مائة مرّة بعد كسب الأجر الأوّل المضاعف ستين مرّة (3) فيكنّ هكذا قد تحصّلن باستحقاق مرّتين على التاج السماوي . وحتّى الأطفال قد أظهروا شجاعة تفوق سنّهم ولم ينتظروا عدد السّنين ليبرزوا انتماءهم الديني العظيم . وهكذا فإنّ جيش الشهداء السعيد يتحلّى بكلّ الأجناس وكلّ الأعمار .

7 ـ 1 ـ كم هي الآن رفعة روحكم وكم هو حزمكم وسروركم وانشراحكم المنتصر ، يا أيّها الإخوان الأعزّاء كثيرا وأنتم واعون بانتصاركم ولم يعد ينقصكم إلاّ انتظار الجزاء الموعود من الله ، وانتم كلّكم اطمئنان ليوم الحساب بما يحويه بندكم المغلول في المناجم من روح ملكيّة ، وربّما تعلمون من أنّ المسيح حاضر معكم وسعيد بشجاعة أعوانه الذين يراهم يسيرون على خطاه ويتّبعون طرقه نحو الملكوت الدائم ؟

2 ـ إنّكم تنتظرون كلّ يوم ويفرح اللحظة الموعودة لذهابكم ، وأنتم على وشك ترك هذا العالم ، فإنّكم تتسارعون بفكركم نحو الجوائز الالهية ونحو المقام السماوي . وبعد ظلمات هذه الحياة ، ستتمكّنون من مشاهدة ألمع الأضواء وستتحصّلون على النصر ، الأعظم من كلّ المعاناة والآلام ومن كلّ المعارك ، حسب ما وعد به الحواريّ :

« إنّ آلام هذه الحياة ليست بنفس حجم النصر الآتي والذي سيظهر فينا »

3 ـ وبما أنّ لصلواتكم الآن جدوى أكبر وبما أنّه يتحصّل بأكثر سهولة على ما نطلب وسط القمع ، فالطلبوا بكلّ إلحاح من الطيبة الربّانية أن تقبل فتمكّننا من إكمال التبشير باسمها وأن تمكّننا نحن أيضا أن نخرج سالمين ومنتصرين من ظلمات هذه الدنيا وأفخاخها . حتّى نتمكّن جميعا ـ ونحن نتوحّد معكم هنا برباط التقوى والسلام ـ من التمتّع مجدّدا معكم في ملكوت السماء ، بعد أن نكون جميعا وقفنا معا في وجه لعنات الهراطقة وفي وجه قمع الكفار ـ وأتمنّى يا إخواني السعداء والشجعان كثيرا ، أن تواصلوا نفس الوقفة الحكيمة بجانب ربّنا وأن تكونوا في حمايته وأن تذكروننا دائما وفي كلّ مكان . وداعا ...

الإحالات :

1 ـ كذلك سيظهر سيبريانوس شجاعة وجلدا عند انتشار الطاعون الذي دام 12 سنة

2 ـ يقول محمد البشروش في الفصل الذي نشره سيبريان بالزمان عدد 315 ص 6 ، 21 جانفي 1936 : « وكانت اضطهادات داس المسيحيّة سنة 250 فنجا سيبريان إلى قرية ، وهي قرية كائنة بالوطن القبلي على بعد 20 كيلومتر من مدينة نابل » وقد اختلط الأمر على البشروش بين الإضطهاد الأوّل والثاني ، ثمّ إنّ سيبريانوس لم يختر عن طواعية قرية كما يبدو ذلك من محضر جلسة الإستجواب ومن كلام الحاكم .

3 ـ انظر حول ترجمة صالح الكوّاش : أحمد بن أبي الضياف : اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ـ الجزء السّابع ـ ص 44 إلى 46

وكذلك جريدة العمل بتاريخ 20 أكتوبر 1973 بشجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ـ ترجمة عدد 365 ـ وعنوان الأريب لمحمد النيفر ـ ج 2 ـ من ص 64 إلى 67 ـ ومحمد محفوظ : تراجم المؤلفين التونسيين ـ ج 4ـ ص 181 إلى ص 185

4 ـ هناك إلى الآن قرية تسمّى فرتونة ، توجد مابين قرية ومنزل تميم ، والإسم روماني ولا شك ـ فهل يكون صاحب هذا الطلب من سكّان هذه القرية ؟ والملاحظ أنّ آثار المدينة البونية القديمة : أدين Adin توجد محاذية للفرتونة

5 ـ وقد قسّم جان لونتان مؤلفات سيبريانوس إلى (أ) ـ كتيبات دفاعيّة (ب) دراسات في الاستقامة (ج) الرسائل .

6 ـ P,Monceaux ; Histoire littéraire de l'afrique Chrétienne ,t, 2 Saint Cyprien et son temps Paris - 1902- p 81

7 ـ إنّ أساقفة نوميديا لا يعرفون أنّ قرية في ذلك الوقت إنّما كانت مدينة بأتمّ معنى الكلمة .

8 ـ إنّ الرسائل الثلاث حملت إلى 3 مجموعات من المسجونين في المناجم ولم يصل المبعوث Amantius إلى مدينة Sigus وهو ما يفترض أنّ هذا المنجم الثالث أبعد من قرطاج من المنجمين الأولين ، ولا نجد إشارة في أيّ من الرسائل إلى المجموعتين الأخرتين وهو من باب التقية والسرية . ويوجد المنجم الأوّل شرقي بقاي بمنطقة خنشلة . ونحن نجد أسماء الأساقفة التسعة المذكورين في الرسائل الثلاث ضمن محضر جلسة مجمع الأساقفة بتاريخ غرّة سبتمبر سنة 256 . وهم على الأرجح أساقفة نوميديين إذ هم مسجونين في مناجم توجد كلّها في نوميديا .

إنّ الإستشهاد ، حسب القدّيس كيبريانوس ، يكسب أجرا مضاعفا مائة مرّة . أمّا حالة العذرية فيكون كسبها مضاعفا ستين مرّة في كتابه المعنون De Habitu Virginum الذي ألفه قبل ذلك ، سنة 249 م .

---

1 ـ المصادر

1 - Saint Cyprien , Correspondance tome 1 et2 (200 pages et 644 p + Index) Collection Budé . Paris - 1925 - Texte etabli par le Chanoine Bayard (Les Belles Lettres)
Avec une Introduction très intèressante de L V pages (55 pages)

2 - Adhémar d'Alès , La Théologie de saint Cyprien
Paris - 1922 (Beauchesne)

3 - Batiffolm , L'Eglise naissante et le catholicisme
4 e éd . Paris 1909

4 - Bayardm , le Latin de saint Cyprien (thèse) - Paris - 1902

5 - Fontaine jacques , La Littérature Latine Chrétienne
Paris , PUF , que sais - je 1379 - 128 p

البقية ص : 59

النـــادرة جنـــا أدبيـــا

بقلم : البشيـــر الوسلاتـــي

إذا اقترن فن الخبر بأبي الفرج الاصفهاني والقاضي التنوخي وفن المقامة ببديع الزمان الهمذاني والحريري وفن الترسل بالمعري والجاحظ وعبد الحميد الكاتب وفن الخطابة بعلي بن أبي طالب والحجاج ، فإن فن النادرة قد اقترن أساسا بالجاحظ ولا سيما من خلال كتابه الموسوم بـ « البخلاء » مع العلم أن الجاحظ جمع في أدبه بين أجناس أدبية مختلفة مثل الخبر والترسل والنادرة .

وإن الناظر في مقدمة البخلاء يلحظ أن صاحبها استعمل عبارات متنوعة دونمـــا تميـــيز مثـل « النادرة » و « الملحة » و « الطرفة » و « الحديث » و « الخبر » و « القصة » مما يدل على عدم وعي القدماء بقضية الأجناس الأدبية فهم قد ميّزوا بين المنظوم والمنثور ولم يضعوا حدودا فاصلة لكل نمط نثري ، ووجدناهم يمعنون في تحليل الشعر فذكروا المقطوعات والقصائد وفصلوا بين النظم والشعر وبين الشعر القديم والشعر المحدث أو المولد . إلا أن التصنيف في مجال النثر بقي محدودا جداً وظلّت تلك الأنواع الأدبية متداخلة . وما فتئ الخبر عموما يمدّ سلطانه على بقية الأنماط الأخرى ويحتويها . وتعد نوادر البخلاء خير نموذج على هذا التداخل بين النادرة والخبر .

والنادرة من ندر يندُر الشيء ندورا . سقط فظهر ونوادر الكلام تندُر وهي ما شذ وخرج من الجمهور وذلك لظهورها . ومن الغريب أننا لا نجد مصطلح النادرة في « لسان العرب » (1) بالرغم من أن الجاحظ وغيره ممّن عاش قبل ابن منظور استعمل هذه العبارة .

وفي بعض القواميس نوادر الكلام غرائبه وما شذ منه وما كان فصيحا مستجادا والنادرة بالّلسان الفرنسي L'Anecdote وهي سرد مختصر لحدث غريب . وقد عرّفت فدوى مالطي دوجلاس النادرة بقولها : « يمكننا تعريف نادرة البخلاء بوصفها وحدة سردية تنطوي على فعل أو حدث يكشف عن خاصية البخل عند شخص أو مجموعة من الأشخاص ... قد يكون لها وجود تاريخي وتجمع بينها خاصية البخل » (2)

ولئن ألحّت التعريفات بالنادرة على خاصية القصر والغرابة والتسلية أو الإضحاك (3) ، فإنّ هذا قد بدأ جليا في مقدمة البخلاء .إذ أنّ الجاحظ أطنب في إبراز ظاهرة الضحك وجعلها مقترنة بالنوادر وتجدر الإشارة إلى أن الضحك في نصوص البخلاء لم يكن غاية في حدّ ذاته بل كثيرا ما اقترن بالتهكّم والسّخرية والنقد وأحال على أبعاد إجتماعية وحضارية عميقة (4) ونظرا إلى أنّ الإضحاك لا يتيسّر إلا بشرائط ، التزمت النادرة بمقاييس صارمة منها دقّة العبارة التي تتناسب مع السياق والمقام . ثمّ الإيجاز تجنّبا للزوائد والحواف التي تثقل النصّ ولا تخدم الغرض .

ولئن اعتبر هذا الأمر من خصائص الخبر أيضا (5) فإن النادرة تنهض به نهوضا وتلحّ عليه

أكثر معاً يتوفر عليه فن الخبر . فالملاحظ أن النادرة في كتاب البخلاء إستقلت بذاتها تارة وتداخلت مع الخبر تارة أخرى . ومن الأمثلة على استقلاليتها راجع الصفحة 150 من البخلاء (ط . دار المعارف) ففيها تجد ما نصه : « قالوا وكان المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي يأكل تمرا هو وأصحابه فانطفأ السراج وكانوا يلقون النوى في طست فسمع صوت نواتين فقال : من هذا الذي يلعب بالكعبتين ؟ » (6) إن هذا المثال يدلّ على أننا بإزاء نادرة ولسنا بإزاء خبر . نادرة من خصائصها الاقتضاب الشديد والإضحاك والبروز أو الظهور بحكم طابعها الترفيهي والتداول على الألسنة من خلال فعل « قالوا » الذي تصدرها . ويبدو أن الجاحظ كان واعيا بحوافز التندر . وهو وعي لا يرتبط بشكل النادرة وبنيتها بقدر ما يرتبط باستقراء نفسية المتلقي والتطلع إلى مدى تأثرها بالمرويّ .لذلك ألفيناه يميّز بين « النادرة الحارة المليحة » و « النادرة الباردة الفاترة » ولعله بسبب من ذلك نخلص إلى القول: إن النادرة تحيل على المعنى أكثر من الإحالة على الشكل بخلاف الخبر الذي يبني أساسا على ثنائية السند والمتن ، لذلك ارتأت ندوى دوجلاس تصنيف نوادر البخلاء بحسب المضامين .فاعتبرت قصة العراقي والمروزي التي انتهت بقوله « لو خرجت من جلدك لم أعرفك » . من قبيل « نادرة الكرم » في حين أن الشكل هو شكل الخبر . ثم إنها حدّدت أصنافا أخرى مثل « نادرة الوعظ » و « نادرة الشيء » و « النادرة الجماعيّة ... » ويظل تصنيفها ـ على تغييبه الشكل ـ أمرا معتبرا نظرا إلى نقصان الدراسات التي تعتني بهذا النوع من الأدب . (7)

وعلاوة على دقة العبارة المشحونة بالدلالات والإيجاز ثمة في نوادر البخلاء خصائص تعبيرية أخرى مثل الوصف والتصوير والرسم الكاريكاتوري لشخصيات تنوعت فئاتها الإجتماعية . وفي هذا التصوير من دقة الملاحظة والتغلغل في خفايا النفس البشرية ما جعل الجاحظ رائدا دفع بفن النادرة نحو التبلور .إذ أضفى عليه جمالية ارتقت به من عفوية نوادر الأعراب الشفوية لا سيما أن نصوصه المدونة توسلت بآليات السرد القصصي بما هو خطاب مؤثر بواسطة العوالم التي تشكلها لغته والرؤى التي ينشئها السارد .

فتضمنت النادرة شأنها شأن الخبر والمقامة والرسالة الأدبية عناصر القص من زمان ومكان وأشخاص وأحداث واتخذ الراوي داخلها موقعا مخصوصا طريفا . ومن ثمة مثلت النادرة وجها من وجوه القص في الخطاب النثري القديم ونعني به ذلك الوجه المهمّش لدى النقاد القدامى .

وكانت مضحكات الحركات والمواقف والعبارات في النوادر من أبرز أشكالها التعبيرية . وهي مضحكات من سماتها أنها تحفز على التأمل وتنخرط ضمن منهج التأليف قديما القائم على الجمع بين الجد والهزل . (8) ولا غرو أن هذا الجمع بين الإفادة والإمتاع ليس سوى طريقة من جملة طرق أخرى طبعت اتجاهات التأليف قديما كالاستطراد والإسهاب والتداخل بين الشعر والنثر .

*** الهوامش :**

1 ـ ابن منظور : لسان العرب [مادة ندر] . ولعل ذلك أن يؤكد مرة أخرى عدم وعي القدماء بمسألة الجنس الأدبي

. ولا شك في أن قضية الأجناس الأدبية Genres Litteraires هي من إنجازات النقد الأدبي الحديث . وحتى في تعريفه الخبر فإننا لا نجد عند ابن منظور ما يدل على ملامسة لمشكلة النوع الأدبي .

2 ـ فدوى مالطي دوجلاس : بنائيات البخل في نوادر البخلاء . مجلة فصول (خريف 1993 ص 65).

3 ـ جاء في :

Nouveau petit Larousse : Anecdote : Recit succinct d'un fait piquant curieux ou peu connu :

4 ـ الأمثلة متعددة يمكن أن نذكر منها نص " كتب بكتاب " فهو يثير قضايا أدبية تخص التكسب بالشعر وقضايا فكرية جدلية من خلال المعادلات " الرياضية " التي أقيمت بين الفعل والقول والصدق والكذب . أما قصة ابن المقفع مع ابن جذام الشّبي فهي تعالج مسائل نفسية واجتماعية تنقد سلوك البخلاء تجاه المجتمع ...

5 ـ يقول محمد اليعلاوي متحدثا عن أخبار أيام العرب : « ثم إن الأيام ، بوصفها قصصا قصيرة أو أقصوصات ، تخضع لقانون الاقتصاد ، أي تستغني بالضرورة عن كل الزوائد التي تثقل السرد وتشتت الاهتمام ، فلا وصف فيها للأشخاص والأماكن والأشياء إلا مختصرا خاطفا ، أو بطريقة التلميح والإيحاء ، ولا مقدمات فاضلة عن الحاجة ولا تعاليق ختامية ولا استطرادات في غضون السرد ، إلا ما كان يخدم القصة مباشرة ... »» أدب أيام العرب ، حوليات الجامعة التونسية ع /20 1981 ص 111 .

6 ـ ومثال آخر في الصفحة 17 : يقول المروزي للزائر إذا أتاه والجليس إذا طال جلوسه : تغديت اليوم ؟ فإذا قال نعم قال : لو أنك تغديت لغديتك بغداء طيب وإن قال : لا ، قال لو كنت تغديت لسقيتك خمسة أقداح فلا يصير في يده على الوجهين قليل وكثير » .

7 ـ يتلك هذا النقصان ساعة نقارنه بالدراسات العديدة التي تناولت فن المقامة وفن الترسل .

8 ـ يقول آدم متز : « وقد امتدح الجاحظ لأنه كان مؤسس الطريقة الجديدة التي تجمع بين الجد والهزل » الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، المجلد 1 ص 472 ط ، 4 بيروت 1957 .

أسئلة الشعـــر : فتنة التجـــاوز ونداء الحداثة

بقلم : خالد رداوي

** انتم الشعراء : إقامتكم ما بين الوردة والسيـــف * (رفائيل البرتي)
** لا خيـــر فـــي عـــالم بغيـــر شعـــــراء * (إيلوار)

« تثير القصيدة الحديثة في العالم العربي فيما تثيره ، سؤالا يتجاوز أهمية حدود الإجابات المعلنة التي تقدمها هذه القصيدة من خلال نماذجها سواء تلك التي تسكن المجموعات الشعرية أم تلك التي تتربع في ورقاتها الثقافية في الصحافة الأدبية »

هذا السؤال يقول : إلى أي مدى احتفظت القصيدة العربية الحديثة بأسباب منطقية وفنية ؟ وهل أن الشعر على هذه الشاكلة سيبقى ديوان العرب ؟

إن قراءة سريعة للواقع العربي الراهن ، تفيد بأن ثمة أكثر من صدع في بنية هذا الواقع سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ... الأمر الذي ينبيء عن أن الاستجابات التي يقيمها هذا الواقع ، ليست في مستوى التحديات التي تطرحها المرحلة ، سواء ما يتعلق منها بالتحدي التنموي أو الايديولوجي أو التحدي الديمقراطي ...

ارتفعت الأصوات منذ العشرية الفارطة ومازالت ترتفع مؤذنة بموت الشعر أو ضياعه على أقل تقدير ، يقول : محمود درويش : " إن تجربة الحداثة قد دمرتنا جميعا فأصبحت القصيدة العربية ، قصيدة واحدة تأتي على كتابتها آلاف الشعراء .... (1) (المجلة 1987)

هنالك إذا ارتداد عن القصيدة العمودية بكل مواصفاتها الرؤيوية والتعبيرية والبنيوية والفنية ... ويتحوّل الموقف في نبره طافحة بالنواح على الذات والندب على الثقافة العربية على تراجع الشعر وتلاشيه ، وتوغله عميقا في عتمة الأفول ... كما أن هنالك قفز نحو ما يسمّى بقصيدة النثر المتحرّرة من كل ماهو متعارف ومتفق عليه في ديوان الشعر العربي ... كما أنّ هنالك حالة ثالثة تتردد ، متشبثة بالقصيدة الحديثة كما بدأها جيل الرواد منذ نازك الملائكة والسياب ...

فماذا يعني هذا ؟ هل يعني أنّ الثورة على القصيد العمودي تكيفا وتصالحا مع المعطيات الواقعية العربية في الفترة الراهنة ؟ يقول : أدونيس في (بيان الحداثة 1992) « ليست الحداثة وحدها غير موجودة في الحياة العربية وإنّما الشعر نفسه هو كذلك غير موجود » هل يعني هذا أنّ القصيدة الحديثة كما ترسخت في ديوان الشعر العربي المعاصر تعاني هي الأخرى من خلل أو مرض ما ؟ وإذا كان ذلك كذلك ، فماهو السرّ إذن ؟

يجيب الشاعر عبد الوهاب البياتي على تساؤلنا بالقول « أعتقد أنّ النقص في التكوين الثقافي هو الأساس فمعظم الشعر يأتي انشائيا لغويا وسطحيا قائما على مطالعات عشوائية ، فإذا

تكلمنا عن الأدب بشكل عام فإنّ الرابطة الروحية ، الحقيقية بين اللغة والموضوع منقطعة ، يعيش معظم الاحياء في الرمال المتحركة للغة في أسوإ حالاتها ، هذا ينطبق على الشعر والرواية معا ، كما أعتقد أنه لا يوجد مفهوم واضح لمعنى التجديد أو أنّ التجديد مرتبط بحركة المجتمع » (المجلّة 1980) .

أمّا الناقد والروائي والشاعر جبرا ابراهيم جبرا فيقول « الشعر أفلس اجمالا ، لم يعد للشعر ذلك الوهج الذي تمتع باربعة عشر قرنا من التاريخ العربي ، كان الشعر دائما في متاهة ، ولكن العالمين كانوا يعرفون طريقهم حتى في المتاهة ، كانوا يستدلون بعبقرية اللّغة بأعماق نواتهم المليئة بالحس والحياة فيحققون ما حققوا ... أما اليوم فالشعر في متاهة أكبر ، وضاعت النجوم التي كان يستدل بها ، واضطربت الذائقة اللغويّة ، بحيث كثر الشعراء لدرجة الفجيعة ، وضاع الشعر وأصبح من الصعب جدا أن تجد في الشعر ما يخرجك من المتاهة » ... (مجلة المستقبل عدد 158) اتفق الشاعران حول الاعلان عن أزمة القصيدة الحديثة إلاّ أنهما مختلفان في زاوية الرؤية ... ولكنهما اجتمعا في ازمة اللّغة الشّعرية المتداولة ... وهنا ينهض السؤال ؟ كيف ذلك ؟

يجيب الدكتور الشاعر وليد سيف بالقول « اذا كانت اللّغة في وظيفتها الأصلية اداة للتعبير عن الفكر وتجسيده وابرازه فلطالما استخدمت في احيان كثيرة لتصعد هذا الغرض ، لإخفاء الفكر وتمويهه وتعميته صياغة لتجميل البشاعة وتسويقها ...

فإذا لم يستخدم الشاعر شعره لكشف واقعه ، من خلال وعيه ، وتفاعله معه ، تحول الشعر عليه من غير أن يدري ، فكان اداة لكشفه ، فصُمت رؤيته وموقفه المتخلف ، حتى لو أراد غير ذلك تماما

فالشعر إذا أحد العناصر الأساسية في بناء التركيبة العربية فإنه يجدر بنا أن نوليه الإهتمام الأكبر سواء من الناحية الفنيّة أو النواحي التبليغية الأخرى حتى تكون مسيرتنا ومساهماتنا بحجم متطلبات المرحلة ...

ان التاريخ ينبئنا بان الامة العربية عبر تاريخها المتحقق لم تعرف الانقطاع الحضاري ، بحضارة الغرب متصلة منذ العصور القديمة ، حضارة وادي الرافدين والحضارة المتوسطة مرورا بالحضارة العربية في العصر الوسيط وانتهاء بعصر النهضة رغم ضعف الظاهر عليه ...

وبهذا المعنى تكون القصيدة الحديثة استمرارا لما ترسب في الذاكرة الأدبية العربية منذ امرئ القيس حتّى الآن ... وبهذا المعنى افهم محاولات التجديد ، التجديد في الرؤية الشعرية والتجديد في الشكل منذ أبي نواس وأبي تمام مرورا بمدرسة أبولو وانتهاء بالبياتي والسياب ونازك الملائكة وغيرهم من اعلام القصيدة الحديثة ... وبهذا المعنى ايضا أفهم روح الشعر العربي ، تلك الروح التي نصبته وبجدارة ديوانا للعرب انها روح المغامرة والكشف ، روح الاقحام والمجابهة روح التفرد والخصوصية ، التفرّد في استعمال الرّمز . التفرّد في بناء مقولات شعرية جديدة ، وأخيرا التفرّد في عبور الخاص إلى العام والنسبي إلى المطلق في جدليّة شعرية صاعدة باستمرار ...

من وهم اللّغة إلى لغة الوهم

تأمل في حقيقة اللغة الشعرية

بقلم : عبد الحفيظ الزواري

وهم اللّغة يلتصق بالكلام فيبثّه طاقة إيحائية في التعبير تتجاوز المعنى إلى معنى المعنى.(1) وتنقلت اللّغة من عالم الواقع إلى عوالم الخيال وتنبعث منها ملكة التخييل لتصيّر الكلام متعدّد المعنى ، رحب الدّلالة . ومن الوهم يتولّد الإنشاد ومن رحم اللّغة يفيض الخيال ، وهذه الملكة تفعل في الذات فعلها في العقل إذ الإنسان عالم من الخيال يولّد من فكره طاقة في التصوير وعظمة في التعبير وجودة في الصّياغة ويغدو هذا الكائن العجيب قادرا على التوهم فالإيهام . وذلك هو عنوان تفرّده وتميّزه عن المخلوقات .

وباللّغة صار الإنسان إنسانا ومن الوهم صنع الإنسان خيالا يتحاور به الشعراء فيتبادلون أنغام الإحساس ويتجاذبون أصداء العوالم الخفيّة أو الميتافيزيقيّة ، تلك العوالم لصيقة بالوجود الإنساني ، لا مفرّ له منها .

فلا يذهبنّ بنا الظنّ إلى أنّ السؤال الميتافيزيقي خال من الدلالة ، عديم المعنى ، إن هو إلاّ أفق من آفاق العقل يخترقه ويستحثّه للإجابة عن أسئلة الذات وهي إلى الجواب ظمأى . فقد يستجيب عالم الطبيعة المرئي إلى عقل الإنسان الباحث عن حقيقة الأشياء ، بيد أنّ هذا العقل يطمح كذلك إلى ماهو خفيّ ومحجوب عن عالم الشهادة. إذ في ذلك رغبة ملحّة تدعو الإنسان إلى تجاوز حدوده لينتقل إلى اللاّمرئي ، وعندئذ يقف العقل ليتحرّك الوهم . فتفيض من الإنسان مشاعر الخيال لتزيّن الوجود وتتجاوزه إلى عوالم أخرى هي من صنع الإنسان ومن تجريد الفكر ومن صياغة العقل . فالعقل البشري صانع للحقيقة والوهم مولّد للواقع والخيال . يقول الباحث Corneluis Castoriadis : « ثمّ إنّ الإنسان هو الكائن الوحيد الذي استطاع أن يحكّم هذا العالم من الدّلالات والمفاهيم في كيانه حتّى أنّ كلّ الشرائع وكلّ القوانين تبدو راجعة إلى المتخيّل في عالم المفهومات » (2) .

ويضيف قائلا في كتابه « اكتشاف المتخيّل » « إنّ قصارى ما يمكن أن نقوله لمبدع الكلام المخيّل إنّك اختلقت وابتدعت وتزيّدت وتوهّمت وهي ألفاظ تختلف عن الكذب الصّريح كلّ الاختلاف » (3)

وتغدو الأنا البشريّة توّاقة إلى رمزية الكون العجيب وإلى صياغة اللغة يتحاور بها الإنسان مع ذاته العميقة فتنشطر لغةُ الخطاب لتكوّن نوعا آخر من الكلام يختفي فيه خطاب الحقيقة ليبدو خطاب الخيال . وتتقلّص فيه أوهام اللّغة لتمتدّ لغة الأوهام . والوهمُ سلاحُ المتوهّمين وقبلة الفنّانين ،إليه يشدّون الرّحال ومنه يستلهمون الأحلام وبه يضمون العقول ويخترقون الأفهام والاسماع لتصبح اللغة عندهم ـ فسيحة لا يحدّها حدّ ولا يقيّدها قيْدٌ فأعززْ به من فعل يغدو

الإنسان به صانها للمعنى مفتّقا لقيود اللغة مخترقا عوالمها الدّنيوية ملامسًا فيوضاتها الأزلية معبّرا عن بداياتها السّرمديّة .

ومن زمن اللّغة الأوّل وبداياتها يتولّد الوهم والخيال عند الشعراء . وذلك أنّ الكلمة الشعريّة شكل من أشكال التعبير تلامس الوجدانَ في لحظةِ الانفعال وتنفعل بلحن الذاتِ وهي تتغنّي بأهازيج الكونِ وتترنّم سكرى بألحانِ الوجودِ . فكلّما سمعت الشاعر الفنّان ينشد أنغام الكلام انتابتني حمّى الدّفء إذ تنبعث من روحه أوهام الكلمات وتنفعل نفسه بأريج العبارات وتنجذب أحاسيسه فيكتبُ قصيدته من فيْضِ العبراتِ وتنهمر دموعه لتغطّي بياض الصفحاتِ فتختال الكتابةُ تتبرّج في جمال أسلوبها قويّة صلْدة منيعة . وما إن يغدو القارئ لها متتبّعا أنغامها ، مسايرا همْسها حتّى تقع في نفسه فتهزّ من وجدانه وتسكر مشاعره ألحان الخلود .

طريفة هيَ العلاقة بين المبدع ينحت الشعور فيولّد من اللغة أوهامًا ويهذّب العبارة فيصيّرها بعد الخلق أجراسا وبين القارئ يتذوّق نشوة الكلام فيرحل بنفسه إلى عوالم الخيال يرفل في دنيا الجمال توّاقا بروحه إلى الكمال .

فانظر إلى الشاعر ــ ابن الفارض ـ كيف صنع من اللّغة أوهامًا فبثّ فيها جمالاً وحيّر بها أفهامًا . ألم يقل متغنيًا بالجمرة الأزلية التّي تفيض من عوالم سرمديّة لتخترق الحدود الأرضية وترتقي بعفافتها إلى الحضيرة القدسيّة :

هرْنـــا على ذكر الحبيبِ مُدامـــةً
سكرنا بها مِنْ قبْلِ انْ يخْلَقَ الكـــرْمُ
وقالوا هربـــت الإثْمُ كـــلاَّ وإنّمَـــا
هربْتُ التّي في تركِها مِنْـــدِي الإثْمُ
هنيئا لأهلِ الدّيْرِ كـــمْ سـكروا بها
ومنْ شربُـــوا منهـــا ولكنّـــهم مَنُّـــوا
فَلاَ ميْتَ في الدنيا لمن عاش صاحيا
ومن لم يمت سكرًا بها فاته الحزْم (4)

لقد غدت الخمرة عشيقة الشاعر الصوفيّ يتواجد معها في لحظة الانفعال ويبثّها مشاعره الصّادقة فيسعد بلذتها الصافية وقد سما بها من عالم الدّنس إلى آفاقِ المقدس ، فصيّرها قبلة العشاق وروضة المشتاق بلغت بمحاسنها البقاع وشنفّت بأخبارها الاسماع .

واسمعه يتغنّى بعاطفة الحبّ في لحنٍ فريد يرتقي به من جديد إلى فضاء المقدّس وينتسله من براثن الابتذال إذ ليس الحبّ في نظره حسيًا ماديًا بل هو نفحة الرّوح بها تتجدّد فتعانق العوالم وترحل في بهجة لملاقاة الحبيب تتشوّق نفس الشاعر إلى مشاهدة الذاتِ الإلهية وقد غدت نار الوصال تتضرم :

زدْني بفرط الحـــبّ فيـــك تحيّرا
وارحم حشًى بلظَى هواك تسعـــرا

وإذا سألـــتك انْ أراك حقيقـــة
فاسمَحْ ولا تجعل جوابي لنْ تَـــرَى
إنَّ الغـــرامَ هو الحياةُ فمُت بـــه
حبًا فحقُّـــك انْ تمُـــوت وتُعْـــذَرَا
ولقد خَلَوْتُ مَعَ الحبيـــبِ وبيْنَنَـــا
سِرٌّ أرقُّ من النّسيـــم إذا سَـــرَى
فدُهِشْتُ بيْنَ جَمَالِـــه وجـــلالِه
وغدَا لِسَانُ الحالِ عنّي مُخْبِـــرًا
فَأدرْ لحاظك في محاسنِ وجهه
تلْقَى جميع الحُسْنِ فيه مُصوّرًا
لو انَّ كلّ الحُسن يكملُ صورةً
ورأهُ كان مهلّـــلا ومكبّرا (5)

بل إنّ الشاعر ليصوغ حبّه من جديد بعد نسخ عشقه كلّ من سبقه ليقدّم إلينا عشقه هو في صيغة إطلاق ومبالغة تذهب بالمألوف دونما رجعة لتخلّق عند المتقبّل معنى يافعا جديدا ينبع من تجربة العاشق إمام الهوى وقد تسلّح بالحبّ متحديًا الكلّ دون استثناء في نغمة لطيفة عذبة تلج الآذان دونما إستئذان وتغدو كالمسك كلّما حركته إزداد طيبا :

نسخت بحبّي آية العشق من قبلي
فأهل الهوى جندي وحكمي على الكلّ
وكـلّ فتـــى يهوى فإنّي إمـــامه
وإنّـــي بريء مـــن فتى مـــامع العـــذلِ
ولـــي فـــي الهوى علمٌ تجلّ صفاتُه
ومـــن لـــم يفـــقهه الهـــوَى فـــهو فـــي جَـــهْلِ
ومن لم يكن في عزّة الحبّ تائها
بحبّ الـــذي يهْـــوى فـــبَشّرْه بـــالذُّل
إذا جـــاءَ أقـــوامٌ بمـــال رأيتهم
يجـــودون بـــالأرواح منـــهم بـــلا بُـــخْلِ
وإنْ أودعُـــوا سـرًا رأيت صدورهم
قـبـــورًا لأســـرارٍ تـــنـــزّه عـن نقْـــلِ
وإنْ هدّدوا بالهجـــر ماتُوا مخافة
ولـــن أوعـــدُوا بالقَتْلِ حـــنّوا إلـــى القـــتل
لعَمـري هـــم العشّاق عندي حقيقة
علـــى الجـــدّ والبـــاقون منهم عَلى الهـــزل

وهكذا يغدو جوهر الكلام الشعريّ نابعا من لغة الوهم وخالقا بالوهم فيضا من المشاعر تتدفّق

لتخلق نمطا جديدا من الدلالة وأنقاض العبارة تعبر به الأسماع إلى زمن البداية الأولى للأسماء . وهكذا تحدّث ـ حسين الواد ـ عن زمن الشعر وبداياته الأولى وهكذا تتحدّد هويّة الفعل الشعري من يقول : « إنّ عهد التسميات الأوّل عهد شعريّ بالأساس ... فالشاعر مسكون بالتسمية هاجسه المقيم تفكير دائم في الكائنات والكلمات وكلّما فكّر في التسمية ضرب رجعا إلى المجسّمات والصّفات » (7)

ويقول : « وجوهر الشعر شأنه شأن جميع الجواهر يفيض على محدود الزمان والمكان ليفترف في الأزل منسحبا على الأبد السّرمد » (8) .

الإحالات :

1 ـ دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني / تحقيق : محمّد رضوان الدّاية / مكتبة فايز الدايّة / مكتبة سعد الدين الطبعة الثانية 1987 / فصل : في المعنى وفي معنى المعنى ص 258 ـ 259

يقول : « وإذ قد عرفت هذه الجملة فهاهنا عبارة مختصرة وهي أنّ تقول المعنى ومعنى المعنى ، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللّفظ والذي تصل إليه بغير واسطة وبمعنى المعنى أن تعقل من اللّفظ معنى ثمّ يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر كالذي فسّرت لك » ويقول في ص 261 : « وإذا كان ذلك كذلك علم علم الضرورة : « أن معرف : لك إلى دلالات المعاني على المعاني وأنّهم أرادوا أنّ في شرط البلاغة أن يكون المعنى الأوّل الذي تجعله دليلا على المعنى الثاني ووسيطا بينك وبينه متمكّن في دلالته مستقلا بوساطته يسفر بينك وبينه أحسن سفارة ويشير لك إليه أبين إشارة حتّى يخيّل إليك أنّك أنت منه من حاقّ اللفظ وذلك لقلة الكلفة فيه عليك .

2 ـ انظر ـ الواد حسين ـ المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ الطبعة الأولى 1991 ص 345

3 ـ انظر ـ الواد حسين ـ المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب المؤسسة العربية للدراسات والنّشر ـ الطبعة الأولى 1991 ص 3246

4 ـ انظر : ديوان ابن الفارض ـ دار صادر(د ت) عنوان القصيدة : شربنا على ذكر الحبيب ص 140

5 ـ انظر ديوان ابن الفارض عنوان القصيدة: زدني بفرط الحبّ ص 169

6 ـ انظر ـ ديوان ابن الفارض عنوان القصيدة ـ نسخت بحبّي ص 174

7 ـ انظر : الواد حسين : ثورة على غير أسمائها ـ دار الجنوب للنشر تونس 1993 ص 76

8 ـ انظر : المرجع السابق ص 83 .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكانة الشعر في الأدب الشبابي

بقلم : رقيـة بشـير

1 ـ ما هو الشعر ؟

الشعر فكرة وإحساس مع خيال وينجرّ عن هذا صورة . وهذه الصورة ينبغي تبليغها بأسلوب جميل مشوّق فيه ليهزّنا ويحرك مشاعرنا . ويعتبر الإيقاع شرطا أساسيا للتأثير مع جمال الأسلوب ولعلّك تشاطوني الرأي عندما أقول لك إن قول بعضهم :

إذا أتاك اسم معرف بال بعد إشارة فعطف أو بدل

ليس شعرا ولا يمتّ إلى الشعر بصلة رغم كونه موزونا على الرجز .

أما ما هي الأوزان التي ينبغي أن تخضع لها الأشعار فهذه هي المشكلة .

وفي القديم كان العرب يقولون الشعر بالسليقة والأوزان الشعرية كانت مرتبطة بواقعهم كالخبب المتصل بوقع حوافر الخيل والخليل لم يبتكر الموازين من عنده وإنما وضعها بالاعتماد على ما قيل في الجاهلية من أشعار

2 ـ الشعر واكب التطور الحضاري وكان له صبغته الخاصة في كل عصر من العصور :

عندما نلقي نظرة على الشعر الجاهلي ونقارنه بشعر أول التسعينات الذي يخضع للأوزان الخليلية نجد رغم ذلك اختلافا كبيرا بينهما وذلك :

ـ **من حيث المواضيع** : فالمواضيع الجاهلية تتصل بالحياة الجاهلية المبنية على الغزو والترحال وتتصل بعقلية تختلف تماما عن عقلية رجل القرن العشرين .

ـ **وكذلك من حيث الأحاسيس** : لاتصال هذه بواقع معين .

ـ **وكذلك الأمر بالنسبة للصور** : فصور الجاهلي مستمدة من الصحراء أما صورنا فهي مأخوذة من بيئة حضارية .

ـ **أما من حيث الأسلوب** : فالفرق واضح جدا لأن التعابير الجاهلية لا تخلو من غرابة ويمتاز عنها أسلوب شعرائنا بالسهولة والسلاسة .

ونستخلص من كل هذا أن الشعر وليد البيئة وأن لكل عصر شعره . فلا شك أنه لا يوجد شاعر معاصر يمكن أن يقول بيتا كهذا لأحد الصعاليك وهو الشنفرى :

ولي دونكم أهلون سيد عملّس ** وأرقط زهلول وعرفاء جيأل

وهب أنه في اعتقاده أن من الحيوانات ما يألف ويؤلف أكثر من الإنسان لأنها تحفظ السر ولا تخذل الجاني وأنه حبذا لو تكون الحيوانات أهلا له رغم أنها لا تشعر لأن يئس من البشر فإنه سيعبّر عن هذا المعنى بألفاظ مختلفة تماما عن الألفاظ الواردة في البيت الجاهلي المستشهد به سابقا .

3ـ ظاهرة الصراع بين القديم والجديد في عصرنا :

إن الصراع بين الكلاسيكيين في عصرنا . وهم كبار الشعراء المتمسكين بالأوزان الخليلية .

تمسكا لا يخلو من تعصب وبين الشعراء الشبان من أتباع الحرّ أو ممّن ينظمون في غير العمودي والحرّ ، حادّ وحادّ جدا . وحتى الاتجاهات النقدية فإنها متضاربة . وبعد الدعوة إلى الشعر الحرّ كما هو الأمر في كتاب " من قضايا الشعر المعاصر " لنازك الملائكة أصبحت هذه الشاعرة نفسها تنادي بضرورة وجود الوزن ولكن أي وزن ؟

وظاهرة الصراع ظاهرة طبيعية جداً تتصل بتطوّر الحياة فقد كانت منذ القديم وهي موجودة وستستمرّ وكما ثار القدامى على شكل القصيدة . ووجدوافي عصرهم من عارضهم اتخذ بعض الشعراء الكبار موقفا عدائيا من الشعر الشبابي معتبرا إياه . هراء لا يمتّ إلى الشعر بصلة لانعدام الوزن المتعارف عليه (أي الوزن الخليلي) فكانت المعركة .

4 ـ خصائص الشعر لدى الشعراء الشبان :

* إن أول ما نلاحظه هو التحرّر من الوزن الخليلي لدى الأغلبية . وهل يعقل أن نطالب هؤلاء بإخضاع أشعارهم للأوزان الخليلية وبيئتنا غير البيئة الجاهلية . وإذا كانت آذاننا قد تلوّثت بهذه الأوزان التي نظمنا عليها فتعوّدناها فإن آذانهم بقيت سليمة كما أنهم قادرون على قراءة ما يكتبون قراءة لا تخلو من إيقاع بحيث يخيل إليك وكأنها موزونة وربّما قرأ أحدهم قصيده مصحوبا بالعزف على آلة من الآلات الموسيقية كالقيتار مثلا . نحن لا نقول بالتحرّر من الوزن ولكنّ الرأي عندي أن من الأوزان ما لا يتماشى وواقعنا الحضاري كالخبب المتصل بوقع حوافر الخيل في حين أن الصغار يعرفون أزيز الطائرة أكثر ولكنهم يجهلون الصوت الذي يحدثه الفرس في عدوه وهو يراوح بين قوائمه .

فالمسافة بين العصر الجاهلي وعصرنا بعيدة جدا . وإذا كان لا بدّ من إيقاع ولابدّ من أن يكون هناك إيقاع فلتكن الأوزان مناسبة لعصرنا ولم لا نبتكر موازين جديدة ومن مظاهر تعسّف بعض الكلاسيكيين أنهم يقيّمون الشعر بالوزن أحيانا فلا يعتبر الشاعر عندهم من فطاحل الشعراء إلا إذا كان قادرا على ركوب البحور الطويلة الصعبة كالطويل والبسيط والمديد وغيرها أما من تأتيه الخاطرة على الرجز مثلا فهو شويعر . لأن الرجز عندهم حمار الشعراء وكذلك من يكتب على المتقارب لأن الخاطرة تأتيه على المتقارب ظنا منهم أنه سهل في حين أن أجمل أشعار الشابي كتبت في المتقارب والبعض منها ملحّن سيبقى على الدّوام ويخلّده الزمن .

* أما الملاحظة الثانية فهي أن كتابات الشعراء الشبان غزيرة وغزيرة جدا وهذا لا يفسّر بالبعد عن الوزن والقافية ولكنه يعود إلى أن وجدانهم عامر ومدى عمق إحساسهم في فترة العطاء ولذلك نرى بعض الشعراء يتوقفون عن النظم عندما تتقدّم بهم السنّ " فزبيدة بشير " صمتت تماما وربما إلى الأبد بعد ديوانها " حنين " . فكأنها بعدما سكبت كلّ أشواقها على الأوراق لم يبق لها ما تقوله . حتى كأن مواصلة الكتابة تبدو أهم من البداية وأصعب بكثير وغني عن البيان أننا عندما ننظر في إنتاج بعض كبار الشعراء نجد أن الدّواوين الأولى وحدها هي التي يمكن أن نطلق عليها كلمة شعر أما الباقي فهو مجرّد رصف كلمات لأن الشاعر أصبح يتقن قواعد اللعبة فهم بعد تجاوز سنّ الشباب نظامون لا شعراء فليس هناك عواطف وأحاسيس جياشة وتجارب متجدّدة وليس هناك خيال والتأثير على القارئ ضعيف ولو ساق هؤلاء أفكارهم

السياسية أو غيرها في قالب نثري لكان أحسن .

وهموم الشبان اليوم كثيرة وقد تعقدت الحياة والضغوطات وصارت كثيفة والمعاناة وحدها كفيلة بأن تجعل هؤلاء شعراء بالقوّة لأن أصل الشعر معاناة و" الأدب مأساة أو لا يكون " أما الشيوخ فإحساسهم بارد ! فالرجل الذي لديه من العمر ستون عاما لا يحبّ كابن العشرين (هذه حقيقة طبيّة) وهو لا يتأثر عندما يرى رجلا ثملا مترنحا في الشارع ولكن الشاب الصغير يصطدم شعوريا عندما يرى هذا الأول مرّة .

* والملاحظة الثالثة التي نراها هي الغموض . وهذا يعود في نظري إلى ضعف التجربة الشعرية . فالشاعر لا يملك الأدوات اللغوية التي يمكن بواسطتها أن يعبّر عن إحساسه بصدق فيفهمه المتلقي ويتفاعل معه والذنب ذنب المربي أولا وبالذات . ولكن بالمطالعة والحفظ ودراسة البلاغة والصبر الطويل المضني لأن الشعر ليس سهلا يصبح الشاعر قادرا على الإيصال والتأثير

والخلاصة : أن الشعر لم يفقد مكانته في الأدب الشبابي رغم وجود بعض النقاط السلبية والتجربة تقول إن البقاء لمن يثور وأن كل قديم يبلى فأبو نواس استمرّ بثورته على نظام القصيدة ومن الطبيعي أن يكون شعر الشبان مغايرا في كلّ شيء لشعر الشعراء الكبار الذين ينتمون إلى جيل آخر. لأن الشعر وليد بيئته ويواكب تطوّرات العصر ولا أبالغ حين أقول أنه يوجد من بين الشعراء الشبان من تفوق إبداعاتهم إبداعات من يعتبرون أنفسهم فحولا أفذاذا ويتصدون لهم بالنقد غير معترفين بقيمتهم وهذا تعصب وغرور فلنشجع هؤلاء الشبان حينئذ على مواصلة الخلق ولنأخذ بأيديهم فهم عماد المستقبل في كل شيء ولنقل كما قال بعض الأدباء الشبان مدافعين عن أنفسهم بحماس : " دعوا البراعم تتفتح "

ولنضرب المنغلقين على أنفسهم في أبراجهم العاجية تذكرهم بما قال سيدنا علي كرّم الله وجهه وهو أديب عندما سئل عن رأيه في الشعراء الجاهليين والذي ينتمون إلى عهد الإسلام : " كلهم فحول " يعني لكلّ عصر فحوله . والمبدعون الحقيقيون في نظري هم الذين يصنعون حقيقتهم ويتمرّنون . والتطور في المعنى واضح في الشعر الحديث لكن الذي لا ينبغي أن ننكره وجود بعض من يدعي الشعر بغير موهبة .

ARCHIVE

غريب أمر هذه الأعراس

بقلم : طارق الحزامي

قراءة في : أعراس الحزين لمنير بن يونس

أعراس الحزين في مجموعة شعريّة صدرت عن دار الشيماء للنشر والتوزيع في بداية سنة 1994 . وصاحب هذه المجموعة " منير بن يونس " كما عرفته شخص محكوم عليه بالشعر ، وكانت " زاد العاشق " ـ وهي أول مجموعة شعرية للشاعر ، وقد أصدرها عن نفس الدار ـ ثمّ " أعراس الحزين " تنفيذا لهذا الحكم فية . فذهب منير الشخص ولم يبقى إلاّ منير القصيدة يحضرنا " آخر الليل " بقلب « هدّه التعب » يشكو الجراح وألم الضياع « في مدار الذبول » ثمّ « يمضي في متاهات الذاكرة » . وقد احترق حبًا وعشقا وحلما حتّى أتت أعراس الحزين وفي مجموعة قصائد حضرت حاملة في طيّاتها قلب شاعرها الحزين ، حضرت لتقول كلمتها في الشعر ففرضت نفسها بنفسها ، وكانت صرخة حبّ وألم تشتد وتتعالى كلّما توغلنا فيها أكثر أو اقتربنا من مواطن جراحها .

قرأت هذه المجموعة فألمتني جراحها ، وأعداني حزنها ، وتوغّلت فيها أكثر فوجدت نفسي أعيش الحياة والموت مشتّتا بين الوجود والعدم .

فمنذ " سيزيف " " لألبار كامو " ونحن نتساءل عن معنى الوجود ، ومعنى الحياة ، ومعنى الموت ، ومن ضرورة الفعل والإبتكار ما دامت كل الأحجار التي سنرفعها آيلة للسقوط حتما في النهاية . ولكن رغم كلّ ذلك نعيد الفعل مرّات ومرّات فلا نسأم ولا نضجر ، ولا نقبل أن تدركنا الهزيمة أو تربكنا وحشة المقبرة . وقصيدة " الحياة " اختزلت كل هذه المعاني ووظّفتها توظيفا جديدا .

فأنا عندما أقرأ مثلا :

موحشة

هذه المقبرة

كلّما ابتكرت حلما

صار إلى المشنقة (1)

ألاحظ الفتح الجديد الذي أحدثه الشاعر في مستوى الفكرة حيث تجاوز موضوع عبثيّة الفعل الذي انطلق منه إلى فكرة التصاق الحياة بالموت ... التصاق الولادة بالفناء من خلال إعدامه للمسافة الفاصلة بينهما . إذ لا فواصل بين هذا وذاك بل هما وجهان لعملة واحدة يتمّ بقلبها في اتّجاه معيّن تواترهما .

فالفواصل بين لحظة البداية والنهاية انطمست إلى درجة ترك فيها الموت وظيفته الأصليّة وهي

الإعلان عن النهاية ، وانقلب أشعارا ببداية جديدة ممثلة في ابتكار حلم جديد أو إعادة بدء تجربة حبّ انتهت حيث يقول الشاعر في قصيدة " غبار الذاكر" :

« انتهى العلم
ونجم الحبّ
ضاع في مدار الذبول
من بدأ بالخطأ
لا أعرف
لكنّ الحب بيننا انطفأ
فلتعده
من حيث بدأ » (2)

ثمّ توغّلت أكثر في هذه المجموعة فوجدت نفسي ألج أرض العجائب ، كيف لا ؟ وهناك قصيدة عجيبة جدًا في أعراس الحزين ألا وهي قصيدة " أنا " ، قصيدة وكلّ فيها حسب رأيي منير بن يونس شعره لكتابتها . فكان الشعر أعلم بالأنا من صاحب الأنا ، وكيف لا يكون ذلك وهو الذي عاش معها تحت سقف واحد هو صاحب الأنا نفسه . ولكن مثار دهشتي في هذه القصيدة هو تضاعفها كلّما أعدت قراءتها .

إذ أقرؤها مرّة فأجد أنّها تتحدّث عن أنا الشاعر :

« أنا فتى
تعرفني الأزقة
والشوارع المقفرة
تعرفني الحافلات مكتظة
حفر الأزقة في الشتاء
كلماتي
لقنتها لصبية
وتعرفني الطوابير
في مراكز البريد » (3)

وأقرؤها ثانية فتولد منها قصيدة جديدة عن (أنايا) أنا القارئ حيث أجدني فيها ماثلا ، ثمّ أعيد قراءتها مرّة ثالثة فأصدم بقصيدة إضافيّة (فأفرك عينيّ للتحقّق من هذا الأمر فأجدها فعلا قصيدة ثالثة) تتناول أنا الجماعة بصورة تذوب فيها الأنا في الجماعة : « أنا كلّ الذين يحبّون ولا يفرحون ! » (4)

فغريب أمر هذا الشاعر ، وغريب أمر هذه الأعراس !

---

1) ص 35 من أعراس الحزين
2) ص 13 من نفس المصدر
3) ص 36 من نفس المصدر
4) ص 37 من نفس المصدر

الشاعـــرة الرسامة رجـــاء التفنوتي

« رحلة .. وجرحان في حقائب السفر »

بقلم : منير بن يونس



* **فـــي البـــدء :**

لأن لكلّ فنّ معاناته .. ولكلّ نمط ابداعي جراحاته .. وآلامه .. نرى المبدع أو الفنّان عموما في حالة قلق وخوف من الآتـــي .. باحثا عما وراء الحجاب .. فـــي رحلة البحث عن أسرار الوجود .. عن الحقيقة السابـــحة فـــي الأسئلة الحـــارقة .. عن الممكن المستحيل ...

في رحلة المعانـــاة مـــع حبّ الخلق والإبـــداع والاستشـــراف بمختلف الأجناس الفنيّة .. والإتجاهات الفكرية وليس من اليسير أن نجعل الجرحين في حقائب السفر .. وعدد هؤلاء الحاملين لمعانتين في قريحة واحدة يطغى جانب إبداعي على الآخر في تجربته فالعلاقة بين الحبر واللون علاقـــة قديمـــة قدم التاريخ . ومن عانقوا همـــوم الكلمـــة والرسم يصعب حصرهم .. وقد اكتفي هنا بالإشارة إلى الكاتب الفرنســـي الشهير فيكتور هيغو الذي كان علـــى علاقة وطيدة بالرسم بل إنّه عند وفاته لم يفرق بين ابداعه أدبا وابداعه رسما « انني أعطي كل مخطوطات وكل ما سيعثر عليه مكتوبا أو مرسوما بيـــدي إلى المكتبة الوطنية بباريس » هـــذه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



فقرة من وصيته التي كتبها في الواحد والثلاثين من شهر اغسطس / جويلية 1881 وقد يكون لنا موعد مع رسومات فيكتور هيغو في عدد لاحق .. إلاّ ان زيارتنا لدار الثقافة المغاربية ابن خلدون التي احتضنت المعرض الثاني للرسامة رجاء التفنوتي والذي أقيم من 3 إلى 12 ماي 1996 ذكّرنا بفكتور هيغو وغيره من الذين حملوا جرحين في قريحة واحدة .

* ازدواجية اللون والكلمة :

ما تميّزت به رجاء في هذه التجربة الابداعية المزدوجة .. هو عدم الفصل بين الكلمة واللون .. فالفعلان عندها واحد .. بل لا يمكن لهذا أن يكون بلا ذاك ـ والكلام على لسانها ـ فالكلمة عندها تولّد اللون .. واللون يؤنس للكلمة . من السابق عندها ومن اللاحق ؟

سؤال وإن كانت الإجابة عنه تاريخيا معلومة .. فهي نقطة إستفهام لدى التفنوتي .. وعلى الدارس أو المبحر في لوحاتها أخذ التجربتين معا دون فصل ولا مفاضلة .. ومن ثمّة وجدنا من الضّروري تناول هذين « التوأمين » معا رغم وجود الإختلاف في التوائم ولو كان خفيّا .

* الرهبة والخوف والقلق :

أحلام الرهبة والخوف والقلق .. تجلت رسما وكلمة عند رجاء التفنوتي إلى جانب البحث عن الممكن المستحيل .. فأنت أمام لوحاتها /



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أمام فضاء بلا حدود أو اللا نهائية / جملة الصيّغ البلاغية الفنية ذات المسحة السريالية أحيانا والتجريدية أحيانا أخرى بأشكال توحي بالمعاني والأحاسيس الكثيرة وأعمال تقوم على العلاقة الفنية في الخط واللون والمساحة ... رغم محدودية الألوان المستعملة في جلّ اللوحات وقد يكون هذا إختيارا .

* ضبابية المضامين

الوصول إلى الحقيقة .. أو تبليغها من قبل الفنّان تتطلّب جرأة .. وسباحة خارج الحدود والفواصل فأهمّ ما يلاحظه المبحر بعينيه في أعمال رجاء الأدبية والتشكيلية هي ضبابية المضامين .. وابحارها في الرمزية فأنت أمام عديد الأعمال تشعر أنها تحتفظ بأسرار أعماله


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذا ما يجعلنا ننتظر جديدها .. خاصة بعد أن نجحت في تحقيق تميّز نوعيّا .. وإضاءة جريئة رغم وجود العديد من الذين يدّعون المزج بين الحبر واللون وفي الحقيقة هم لم يحققوا آلا من تشتّت الموهبتين فكان هذا على حساب ذاك أو ذاك على حساب هذا .

* تعـــريـف :

هي رسامة وشاعرة درست بمعهد الفنون الجميلة بزادس لمدة سنتين أقامت معرضها البكر بنزل قصر الشرق .. إلى جانب بعض المشاركات في المعارض الجماعية التي تقول عنها رجاء التفتيتي « إنّ هذه المعارض لا تعطي صورة واضحة عن التجربة الفردية » .

الشـــوك واللـــّيـــل

شعر : السعيدي المنصوري

الإهـــداء: إلـــى صـــانع ماساتـــي مـــع تعـــازي

ياحـــائرا سكـــن البـــلاء حيـــاتـــه
وأبـــي الجـــلاء وأعـــلن العـــصيانا
كـــم ذا بسطـــت يـــدا بالجـــود نـــادية
وكـــم منحـــت غريبـــا منك عنوانا
وصفـــوك بالمَـــير الحـــريح نكـــالـــة
وأجبـــوا فيـــك أحـــقادا وثيـــرانا
لـــك جنّـــدوا ألـــف رقـــيب ومخبـــر
وروّعـــوا فـــي الدّجـى أهـــلا وجيـــرانا
رشـــوا علـــى جرف جـــراحك أدمعـــا
فيـــا لدمـــع بســـيف الغـــدر أدمـــانا
فشـــل الطبـــيب فـــما سكـــوت توجّعـــا
أبـــــدا وكـــان طـــريقـــك النســـيـــانـــا
غـــدر الحـــبيب فـــما بكيـــت من الضّنى
فـــيا لحـــبّ يعيـــش الـــذلّ أحـــيـــانـــا
نسجـــوا لك عشـــرين ألـــف مصيبـــة
فازددت مـــن نكـــد الدّنـــا إيمـــانـــا
وادعـــوا فيـــك أبـــاطـــيلا ملفقـــة
لايملكـــون لهـــا صدقـــا وبـــرهانـــا
ونســـوا نظـــاما ربّ العـــرش يديـــره
والفجـــر آت ونصـــر اللـــّه قـــد حانـــا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المفاتيـــــح ...

شعـــر : فاطمة عكاشـــة

لَمْ أجِـــدْكَ هُنَـــا ...
لَمْ أجِدْكَ هُنَاك .
أقْطَعُ اللَّيْلَ وَحْدِي ووَحْدِي هُنَا أوْ هُنَاك
يَسْقُطُ السَّقْفُ تَحْتِي وفَوْقِي يفِيضُ التُّرَابُ ووَحْدِي أمُوتُ
ووَحْدِي أجَمِّعُ مَا ضَاعَ مِنِّي لأَلْقَاكَ وَحْدِي هُنَاك
قُلْتُ : أهْلاً ... تَرَكْتُ زُهَيْرَاتِ رُوحِي عَلَى الغَيْمِ ...
أهْلاً تَرَكْتُ السُّؤَالاَتِ خَلْفَ الضَّبَابِ
تَرَكْتُ دَمِي لِلْخَرَابِ .
قُلْتُ : أهْلاً ... وَبِي رَغْبَةٌ فِي حِوَارٍ يَشُدُّكَ لِي مَرَّةً وَاحِدَهْ
رُكَبِي دَمَّرَتْهَا البَلاَبِلُ وانْهَرْتُ ... أعْشَقُ .. أعْشَقُ .. أعْشِقُ ...
وانْهَرْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ مفَاتِيحَ بَيْتٍ وبَيْنَ يَدَيْكَ النُّجُومْ .
لِمَاذَا تَأَخَّرْتَ جِداً ... لِمَاذَا ...
المَسَاءَاتُ تَفْتَحُ فِي الشَّمْسِ أعْيُنَ لَمْ يَقْتُلِ النُّورُ نِسْرَ الغُمُوضِ
بِهَا فَاسْتَقَالْ .
غَابَةُ اللَّوْزِ تَمْتَدُّ لَكِنَّ عُمْرِي ـ اكْتَفَى بِالجِبَال
واكْتَفَيْتُ بِيَوْمٍ سَأتْرُكُ فِيهِ التُّرَابْ
ونَعُودُ مَعَاً ..
ويَعُودُ إِلَى أرْضِنَا القَمَرُ السَّاحِلِيْ
نَفْرَحُ جِداً بِقَطْرَةِ مَاءٍ تَبَقَّتْ لَدَيْنَا
ونَفْرَحُ ... لَكِنَّنِي :

عَادَةً أَثْقُبُ الأَرْضَ لَيْلاً بِإِبْرَةِ أُمِّي فَتُمْطِرُ حَبَّةُ رَمْلٍ ...
أُحِبُّكَ لَكِنَّ رَمْلَكَ لاَ يُمْطِرُ الآنَ فَاشْرَبْ دُمُوعِي
سَأَجْمَعُ تَمْرَ الطَّرِيقِ إِذَا مَا رَحَلْتَ ...
أُحِبُّكَ لَكِنَّ رُوحِي تُضِيءُ السَّمَاءْ ..
لاَ تَخَفْ ..
فَالَّذِينَ اخْتَفَوْا كُلُّهُمْ وَصَلُوا
لَمْ أَجِدْكَ هُنَا .
لَمْ أَجِدْكَ هُنَاكْ
كُلُّهُمْ وَصَلُوا
كُلُّهُمْ وَصَلُوا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قراءة في كفّ زمني الباكي

شعر : علياء بن محمّد

جاثمٌ على صدري
ماردُ الأحزان
أشكوه لمن ؟
لا صَدْرَ في دُنياي فيه الأمان !
أمْطلي يا دموعي
اِغسلي حُرقتي وأطفئي النّيران !
هناك واقف شبح أقلقني !
مضى في سبيله غير آبه بالأحزان
طعنتَ صميمي وأعلنتَ حدادي
على ذاتي ، على ابتساماتي !
على فكري ، على كلماتي
ووقفت بعيدا تشهد عذاباتي
أعْجبُ منك : سارقَ أمني
ناشِدٌ فرحي !
بعد أهديتُك جوهر ذاتي !
ما عدت أعرف يا سيّدي كم بقي لي
في كتاب السّعادة من الصّفحات !
مزّقها الحزنُ الباكي
شتّتها هنا وهناك !
تطايرت معها شظايا قلبي
وبقيت لي بقايا انكساراتٍ
لا تعتذرْ لي .. ولا الزّمن ... ولاذاتي ...
أنا يا سيّدي ما عدت انتظر الاعتذاراتِ !

ولا أبـــالي بالقـــرارات ، أجّلتُ كـــل مواعيـدي مـع الفـــرح !
ألـغيت جميـع أكـــاذيب الـزمـن الآتـــي
أصدرت حكـم الإعـدام علـى طيـبة قلبـي
المجنـون ، الأبـلـه ، البـــريْ ...
وعلـــى لـون الـــورود بنفـسي ... وعـلى
روائـــح النـــدّ و العنـبر والياســمين فـــي كتبـي
وفـي شعري .. وعلى لون الزيتون الأخضر السندسي
بعينيّ .. وعلى فساتين طفولتي وعلى حفلات شعري
للعابثـة ! وعلى حبري الأنيق وعلى أوراقي البيضاء !
لأنهـا يا سـيدي منـبع انكساراتـي
ما عـدت أقبـل الاعتذارات لأني أعدمت كلّ اللّحظات
لحـظات ما فـــات ، وماهـــو آت
وقـــررت أنـــي الآن بلا رفقـــة ولا رفيـق !
إنّـــي كـــنت حالـــة بمـــا هـــو آت
فطعنـني الحـلم مـــن خلـــف
وسكـــن فـــي نفسي شيـطان الخـداع
ماعُـدْتُ انـتظـــر الإعتـــذارات
هـــربـتُ مـــن كـــلّ شي ء !
منـــك .. ومنهـــم ... مـــن زمـني ... من براء تي
من بيـــاض كـــلّ لـــون
مـــن ثـقل الهمـوم علـى صـدري
مـــن تـــوتـّر أعـــصابـــي
هـــربت مـــن الشكـــوى ... ولـــن أشكـــو ؟
ولامـــن مستمـــعٍ
دَعْنـــي .... أنـــا وحـــدي أعـــود
وشكـــرا علـى كـــلّ الاعتـــذاراتِ !!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وغسلنا الكون

شعر : أحمد الحباشة



يحترق الليل على الشرفات
يتشقّق فيْ ذهول المرآة
أنظر في عينيها
تدخلني ، تتمزّق فيْ
وتبذرُ وقتي ، تتهيّأ لي
وبنا نقتات
ورياح الشّهرة تحتل مدًى
وجهاتْ
وأنا والليل مصابيح الظلّ
على الجسد المفتوح
ويدٌ تقتات يداً
وفمٌ يرتاد فماً
ودمٌ في الأرض نما ويكى
حين ابتلّت بالآه الحركات
قالت : ما أحلى الدمعة في الآه !
ما أقسى جسداً يقتات صباه!
قلت : أحبك
قالت : الصمت
الصمت عبير ومتاه
وأشارت ذاك قميصك فالبسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذاك مداك فخذني
حبّ عيونك في عينيّ
افتح فيّ دروب الرّعب
ما في كفّيك سوى كفّي ذا زمن مفتوح للفيّ
فتهيّأ بي وتوغّل في شفتيّ
يمتد الفجر رياحًا
وأنا فيك عليّ
والحرب تُحاقدُ أحلام الروح
وتصبّ الموت بكل فمٍ مفتوح
وأنا أنت كذا نبقى
لا شيء عليك ولا شيء عليّ
احرث وازرع وانشر لهبًا
واحضن وطنًا منك يفوح

****

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولبسنا الرغبة نهرًا
وأقمنا حفلات المدّ مع الجزر
واشتعل الوقت بنا
وبأيدينا انتفضت أنّات الروح
فغسلنا الكون بضحكتنا
ومددنا الفعل سراجا
كان البحر يجالسنا
ويجاهرنا بالحلم على جسدينا
وحرير الرمل يصافحنا
ويلذّ له الوجعُ ! .
كانت يدها في الظهر
تمطّط فرحتها
تغزل أفراح الداخل فينا
وسواحلنا تمرح في حرّية
مرّ نسيم مبتسم هنّأنا
مرّ الصمتُ فحيّانا
مرّ الوقت فأعطانا ضحكته ومضى
حين أفقنا ...
كانت أحلام البحر ترافقنا
والأمواج لها تصفيق
وأيادينا
تقتات حريقا بحريق .

خطاف المدينة

نصر : أميرة الرويقي

قناديلُ المدينةِ ...
عتيقة
تواترت ..
أزمنةً .
تعاقبت ...
أمكنة .
تراصّت ...
مسافاتٍ
قطيعةً ...
انبجست بين الثّرى
والثريا .
فجيعةً ...
انفجرت من تحت العراء
قوّضت ...
كبرياء الكون
ومسا وئ الانسانيهْ
تفاقمت ...
فوق شفاهٍ
التّواريخ ...
أطلالُ الفتوحات
تعاظمت ...
حين سأضمحلّ تحلّ في الدّيجور
مواكب السّنا .

على عقول الخفافيش
أفكار العشق .
فارتمت في القاع
مشاعرُ البغضاء ...
أحقاباً .
اهتزّت عظامُها
زلازلَ ...
سافرت ..
بلا زوارقَ
بلا بوصلهْ
في غياهب الأشلاء
في منعطفات النّتوءات
اعتصرتني ...
أعاصيرٌ
قضمت
ألواح السّماء
سأتعالى ...
على قمم السّطح ...
سأجتاز ...
في الانهيار ...
أصداء الأصداء
ارتعشت ...
عصافيرُ الخطافِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سـأزهـر ...
نـداءات
ابتـهـالات
وقـت صلاة الهـوى
سـأتهـاوى ...
فـوق سجـّاد ..
السّمـاء .
سـأرتـق ...
غـلالات ...
يشتهـيها التمـزّق
تغـريـها ...
قهـقهـة البـؤسـاء .
سـوف لـن أشهـر ...
رفـضي ..
حـين أركـب ...
فـي السّخـريـة ...
كلّ صهـوات ...
الاسـتهـزاء .
هـو زمـان ...
كمـا الـدّاء ...
تزحـلق كـما الجلـيد
قبـابـا ...
حـملّت فـوق الصدّر
ترنّحـت عـرجـاء .
يا جبـال ...
فـوق المـرتفعـات ..

حلـّقـت ...
تـطايـرت ....
شـضايا غبـارٍ
رَغـَوَاتِ دمـاء
لسـت أدري
هـل حـلّـت ...
قـبـل الحـشـر ..
قـوافـلُ الفجـر ..
أم أنّ الـلـيـل ...
قـد أقـسـم
عـلـى الـبقـاء ؟
ربمـا ...
هـي خـيالات
ربّـمـا ...
هـي أشبـاح ؟
ربـّمـا ....
هـو الهـراء ؟ !
لتنسحـقي ...
يـا أرض ....
تحـت أنقـاض البشـر ،
لتـنـعتقـي ...
يـا أغـلال ....
مـن معـاصم السّفـهاء
ولتُحـلّقـي ...
أعـنـاق الـرّدى .
فـي تفـاقمـها ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

منهـا تنـدلـق الأنـواء .
عليـها تحـطّ ...
أبسطـة القـمر
فـقـاقيـع ...
تـنـطّ ..
هنـا ..
هنـاك .
لا حـسّ
لا نـرجـس ...
لا نـرجسيّة ...
لا إدراك .
لا اجـراس
تـدقّ عظـام التّقـهاء .
لا أقـباس ...
تمحـو مـن على القسمات ...
زوايـا الليـل
ولا اهتـزازات الفـناء .
آه ... مـن قنـاديـل
المـدينـة
تنـعكس ...
أنينـا ...
فـي أصوات الأزقـّة .
فـي التـواءاتـها ...
تشرئب

تسـود ...
أحـداق الفـقراء .
وفـي رقصاتـها ...
تتـهافـتُ ...
قـدودُ الظـّلال ،
وتـغوص المـنعطفات
مـؤديـة
إلـى أعتـاب الأمس
داعـيـة
إلـى قـبـلات ....
الـذكـرى ...
وقـرعـات السّحـر ..
فـوق أبـواب المـساء
فـاندلعـي
يـا بقـايا شـهب ...
فـي جـوف الـرّطوبـة
هـذه المدينـة ...
تمـدّ جـذور ....
الكبـريـاء
فـسيفساء
رسـمـت
جـدران الصّـباح ،
ثـمّ انـدلقـت ...
قـوارير حـنّاء
فـوق كفـوف
الضّيـاء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عصفـــور مـــن الغـــرب

بقلـــم : عـــادل عبـــد القـــوي

كان ذلك ذات يوم من شهر أوت ...

كنت وحيـدا أتأمل شـارعنا الطويل ... شـارع غطّت الظّلال المترهلة نصـفه ... كلّ الناس يعبرون تحت الظلّ ... لا أذكر أن تغيّر شي ء من هذا الشارع ، أو حدث فيه حادث مهمّ شغل الناس ... هو كبقية شوارع الدّنيا ... صامت أبدا .

رائحة العجين والخبز الخارج توّا من الأفران والأطعمة الشعبية الرّخيصة والبالوعات المتفجرة دوما تنبعث من أنفاس الشارع . اعتدت الإستماع إلى صرير الأبواب الحديدية عندما تفتح بقوّة كلّ صباح ... فـأفزع من نومي ... ودواليب الطّاحون الذي يشتعل عليه الشيخ الهذليّ منذ سنوات ... يصرّ عمران بعربته اليد ويّة المثقلة بصناديق الجعة الفرغة يدفعها أمامه . يتفل على الأرض ثمّ يجرّ قدمين حافيتين على ذلك المكان ... ويمضي مزهوّا مترنّما بلثغته الغريبة ... يلقي التحيّات المسائية على النّساء والصّبايا ... فيضحكن ... ويضحكن ...

خلف النافذة المغلقة دوما ، في المنزل المقابل الذي تفتح شرفته على الشارع الآخر ... تقف فتاة صغيرة سكنت شارعنا منذ أسبوعين في عينيها بقايا مطر شتوي وحلم باريسيّ ناعم وإشراقة في الخدّين تداعب بها كلّ مساء عصفورا ليس في الكون طائر أجمل منه ، لم أره يوما طار أو ابتعد عنها ... كنت أسمعها أحيانا تناغيه ... سوسو ... سوسو ... كثيرا ما كانت تمسكه بين يديها المرمريّتين ، وتسكب عليه قطرات من قبل حارقة ومع ذلك لا يصدر عنه صوت أو رفرفة بل يهتزّ خفيفا ثم يعود إلى اطمئنانه الأوّل ... كانت بينهما محبّة لا توصف .

في المساء تضعه في قفص لها ... سلّة كبيرة من القصب تستعمل عادة للغسيل ، صنعت لها غطاء من الورق ووضعت داخلها كأسا للماء وقطعة من الخبز ... وفي كل يوم تفتح ذلك القفص وتغيّر الماء أو الأكل متى احتاج العصفور إلى ذلك ... يسوءني جدّا أن أرى الطيور سجينة في أقفاصها ... ولكنّني أعجبني اهتمامها بهذا الطائر كنت جالسا إلى منضدتي الوحيدة ، وأمامي أوراق امتحانات وكتب مختلفة وملفات مهجورة وعلى الحائط لوحة الموناليزا عارية من كلّ معنى ... نظرت إلى المرآة فطالعتني مئات الوجوه ... أعرفها كلّها ... كانت تقترب منّي حتّى لكأنّني لا أنكر من سحنتها شيئا . تبتعد فتستحيل خدشا داميا يمتدّ على طول الذكريات المتثائبة . بدت لي عيناي زائغتين تفرّان كلّما حدّقت فيهما ...

لم أستطع أن أقرأ فيهما شيئا من نفسي غير رفرفة بعيدة يأتيني صداها باهتا ، أمّا رأسي فمثقل بالغرابة قد اتّسع لكلّ الأشكال الهندسية ، كان يتمطّط وينساح على كتفيّ حتّى لا أملك له ردّا ... حسبت ذلك من الوجوه التي داهمتني فجأة مستنفرة ، وأنا أحدّق في المرآة ... هي وجوه سلاطين وأمراء وسيّافين ورجال من عامة بغداد وميادين مصر وسرادقات المدن المغربية ،

بل كثير من وجوه شعراء ومتخلّعين وزنادقة وزنوج وعلوج وأعاجم ومجّان وحجّاب تستهزئ بي وتكشّر في وجهي علنا وبصفاته فأصبح في طول حنظلة العليّ ورحيله الأبدي ... بدا لي رأسي كرأسه وقد رفض أن يفعل شيئا لتخليصي من هذه المشاهد ولّت كلّ الصّور من رأسي فجأة ، وانقطع عنّي وجهي ولكنّ المرآة ظلّت ترمقني ...

سمعت صوتا أنثويّا ناعما ، خلته أوّل الأمر من المرآة ، ولكن هذا الصّوت كان يردّ اسما أعرفه ... كريمة ... كريمة ... البنت في شغل عن أمّها ... تمسك بين أصابعها عصفورها وتواجه به عين الشمس المتورّمة ... هي تريد من العصفور أن يطير ... أن تأخذه هذه الشمس الملتفة خلف السّقوف التي بدت صفراء شاحبة أكثر من العادة ... لكن لا يبدو على هذا الطائر استعداد للسّفر ...

قبّلته بشفتيها البنفسجيتين ... ورمت به إلى الفضاء ... وانتظرت ... غير أنّه تدلّى من الخيط الدّقيق الذي ربطت به ساقيه ... قلت في نفسي كيف سيطير وساقاه موثوقتان ؟ .. سحبت الخيط إليها بعنف ... وخاطبت العصفور بما يشبه العتاب ... ثمّ رمت به من جديد ليعانق الإنطلاق ... طار سابحا للحظات ... حتّى قفزت البنيّة فرحة ... وجعلت تصيح ابتهاجا ... اخضرّت الحياة في قلبها ... أشرقت وجنتاها حلما ... هي لم تصدّق ما ترى ... ولكن العصفور يهوي ... والعينان الدّامعتان تجترّان الهزيمة ... يرتطم العصفور على الإسفلت الذّائب الذي صبّت عليه الشمس أحزانها ، وتجثو البنت على ركبتيها الصّغيرتين ... وتضمّ يديها إلى صدرها متأوّهة ... سوسو ... سوسو ... لا تمت ... ما كان لي أن أفعل بك ما فعلت ... أنت مازلت صغيرا ... عندما وقفت لأرى العصفور من النافذة كانت الفتاة قد نزلت إلى الطريق ... أخذت الطائر المسكين بين يديها واحتضنته ... وراحت تقبّله بين عينيه ... وجرت إلى البيت .

نزلت بدوري إلى الشارع ، ليس رغبة منّي في معرفة شيء ما من قصّة الفتاة والعصفور ، ولكن لأتخفّف من بعض الضيق ، وأتخلّص من صور الإرتياع الملتصقة على المرآة ... كنت كلّما غافلتها ونظرت إليها وجدتها ساخرة صفيقة ...

كلّ شيء انطفأ الآن وأغمض جفونه المتعبة بعد الغروب ... البطون ، حيّة تسعى ... تنتشر في الحانات ، تغتصب من جيوب أصحابها المهترئة ساعات من النّشوة المرّة .

ما زالت الهواجس تراودني عن نفسي كانت الموسيقى الصّاخبة المنبعثة من دكاكين الحلاّقين والجزّارين وبائعي الأشرطة والمطاعم المتّسخة تصمّ الآذان ... أنواق عليلة تغري الرّؤوس المثقلة بالآهات المتكسّرة ...

كلّ العيون ترمقني ... تحدّق فيّ ... ولست عدوّا لأحد منهم ، كلّ الأمراض والآلام تلوك في فمها أحزان هذه الثّواب البشريّة السّائبة التي تركت جراءها الصغيرة فاغرة أفواهها المشقّقة جوعا وعذابا ... أمرّ من أمامهم .... فيقرفني مخاطهم ويصاقهم المتعفّن ... ولكنّني أحاول أن أمضي ... رائحة الشّواء والجعة والسّجاير ... تَسْبَح أشلاء في أحشائي ... شعرت بالقيء يتخمني ... فعدت أجري إلى البيت .... تقيّأت كلّ القانورات التي ابتلعتها في بطني رغما عنّي ... ولكنّني اندهشت عندما رأيت الفتاة واقفة ... تنظر إلى الظلام الذي ملأ الأفق الغربيّ ...

وبيديها ذلك العصفور بين الموت والحياة ... وضعته غير بعيد عنها وجلست تتأمله ...

كانت ترتدي فستانا أرجوانيًا قد انحسر عن ركبتيها وتضع على رأسها شريطا أحمر تزيّن به شعرها الأصفر . لا يبدو عليها ثراء كبير ... ولكنّها بدت لي غريبة الأطوار في تلك اللحظة ... تعمّدت أن تراني فخرجت إلى شرفتها ، رمقتني بعينين ذائبتين كطعم الغروب ... ثم استدارت وأخذت ذلك العصفور ورمت به حيث أقف .

عندما انحنيت لألتقطه كانت هي قد دلفت إلى غرفتها وأغلقت الباب خلفها ... أخذت العصفور بين يديّ كما كانت تفعل هي به ... نظرتُ إليها من جديد ... كان وجهها يطلّ من وراء السّتائر ... وكانت ضحكاتها تملأ أذنيّ ... لم يكن العصفور حقيقيًا إذن ... صنعته من القماش ..... عرفت بعد أيّام أنّها عادت إلى فرنسا ... وأنّ تلك المرأة ليست أمّها بل مربّيتها ... وأنّها لن تعود إلاّ بعد سنوات .... لذلك احتفظت بالعصفور وعلّقته على المرآة ... بحيث أصبحت أناغيه في وحدتي ... فربّما تعود هي يوما ... فتذكرني ...

بقية ما في ص : 29

6 - M . Jourdon , Cyprien de Carthge (Ed . ouvrières , 1957)
7 - P . de Labriolle , Histoire de la Latine chretienne
8 - Dom Leclerca , L'Afrique chrétienne
9 - H . Petit Mangin Histoire Sommaire illustrée de la Littérature Latine . Paris J . de Gigord 1936 p . 180 et Suiv .
10 - P . Monceaux , Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne ... t . II , Saint Cyrien et son temps - Paris , 1902 Paris , Leroux ; (7 Tomes)
Saint Cyprien de Carthage --------- Paris - 1944
11 - Saumagnes Charles , Saint Cyprien , évèque de Carthage , Paris CNRS , 195 p . (1975)
12 - Saxer Victor , Martyrs , reliques en Afrique Chrétienne aux premiers siècles , Paris , Beauchesne , 340 p .
13 - Von Soden , Das neue Testament in afrika Zar Zeit Cyprians , Leipzig , 1909
14 - Thibaut , Histoire et oeuvre complètes de Saint Cyprien Tous , Gattier , 1869 - 3 tomes -
15 - Article : Cyprien de Cartage par Pierre Tomas Camelot dans Encyclopédia Universalis
16 Jean fontaine , Histoire la littérature tunisienne Par les textes - Tome 1 . Des origines au XII siecle . Editions Turki 1988 p . à 72

17 ـ جان فونتان ، فهرس تاريخي للمؤلفات التونسية بيت الحكمة ـ 1986 . ص 23 و 24 .
18 ـ عبد الحميد سلامة . محمد البشروش ، حياته وآثاره . الدار التونسية للنشر ـ 1978 ص 272 و 273 .

مولـــد حـــــب

بقلم : محمد نبيل فرادي

أفاقت هذا الصباح على غير عادتها ، كان نهوضها المبكر ، يعبّر عمّا يعتمل في نفسها من مشاعر غامضة ... اتجهت دون تفكير إلى خزانة ملابسها . اختارت أجمل فساتينها، ارتدته على عجل ... فستانها الأبيض ، الناصع كلون الثلج ، يوحي ببهجة الحياة وإشراقة الأمل الواعد ، لكن هل تراها اختارته لأنه كذلك ؟ هي لا تعرف بالتحديد سرّ هذا الشعور الغريب الذي انتابها فجأة ، لم تقف كثيرا أمام المرآة ومع ذلك كان ارتداؤها للفستان على عجل أمرا عاديا .. وغير عادي فستان أنيق ولا شك ولكن اقتناعها بأنها جميلة كان يزيدها ثقة في نفسها ، إذ كثيرا ما تتأمل جسدها طويلا أمام المرآة حين تختلي بنفسها في غرفة النوم ، بل إن كثيرا من صويحباتها عبّرن عن إعجابهنّ بجمالها في عديد المناسبات ، كن يغرن من أناقتها وفتنتها ويحسدنها على ما أودعه الله فيها من سرّ الجمال ... لم تكن تعبأ كثيرا بكلامهنّ ... المهم أنها نهضت هذا الصباح مبكّرة ... ماذا تراها ستفعل ؟ أو فيما تراها تخطط للقيام به ؟ لم يكلّفها أحد بمهمّة ؟ لا ، بل إن أحدا لم يطلب مقابلتها ؟ .... شعور غريب .. انتابها ... أحيانا يتساءل الإنسان عن سرّ وجوده ، وما هو دوره وما مطلوب منه القيام به في هذه الحياة ؟ لكن هي ، وهي بالذات لم يتعود أحد منها أن تسلك هذا السلوك الجاد في حياتها ... بل إنها لم تعرف لماذا فاجأت نفسها بمثل هذه الأمور ، فصغر سنّها لن يحتمل طرح مثل هذه التساؤلات التي تفوق قدرتها على فهم ألغاز الكون أو حتى الإجابة عن بعض المواقف الغامضة التي تلاحظها في تصرّفات بعض أقرانها من الذكور ولكنها لا تدرك لها معنى بل هي لا تبالي بها وأحيانا تذكر من شخص ما إشارة أو كلمات غامضة لكنها لا تكلّف نفسها حتى مجرّد التفكير فيها ـ أحيانا يجب أن نشغل أنفسنا ببعض المواقف التافهة ... هكذا كانت تفكّر ... لقد تعوّدت على كلمات الاعجاب والحب من الجميع .... كبارا وصغارا ... ولذلك لم تكن تبالي من أي طرف تأتيها الملاحظة .

ماذا يعني أن يفيق أحد ما باكرا ذات صباح على غير عادته ؟ هل هو أمر مهم إلى هذه الدرجة ؟ غرفتها المغلقة أصبحت تضيق بها ، تضيق بأفكارها الصغيرة ، ماذا ستفعل بعد أن ارتدت أجمل فساتينها ؟ الطقس اليوم يبدو هادئا وجميلا أغراها بالخروج من الغرفة الضيقة . نعم الغرفة الضيقة ، وهي كذلك لأنها لم تعد الوعاء المناسب لاحتواء ما يدور في رأسها الصغير من أفكار كبيرة وغريبة حتى الاضطراب ارتسم على محياها ... إيه يا زمن ! ما أسرع أن تتبدل أحوال الإنسان ... حتى بدون مقدمات ولا سابق أعلام ، يرتد الإنسان على نفسه ، فيشعر بتبدل أحواله ... اضطرابها أضفى على وجهها مسحة من الحيرة والكآبة المحبّبة ، نعم هي جميلة حتى في أشدّ فترات شعورها بالارتباك ... ماذا لو خرجت الآن من غرفتها ... إلى أين تراها ستتجه ؟ هي لا تعرف ماذا تريد ؟ ولا أين ستذهب عند خروجها ، ومع ذلك كان عليها أن تنتظر قليلا

لتفتّح النافذة ، نسمة رطبة نديّة تضرب خدّها ، تهتزّ خصلات شعرها الشقراء الناضرة ، شعرها الحريري يهتزّ بهدوء ... أحيانا يتهدّل على صدرها المرمريّ الأبيض ، وأحيانا يلتف حول رقبتها ، أو يختفي خلف ظهرها ، حركة شعرها الناعم كانت محفوفة بنظراتها الطفولية الساحرة عينان خضروان توحيان بلون الربيع ، فتنسجم مع منظر الاخضرار الممتد أمام شرفتها ... يحتار الناظر أيّهما أجمل ، سحر عينيها أم سحر الطبيعة الخضراء النضرة ، هذه الوداعة المرتسمة على وجهها تتناسب مع وداعة حركة النسيم النديّ ... ماذا أيضا ؟ ... ما الذي جعل سحنة وجهها تتغيّر ؟ هل تراها تذكرت أمرا مهمّا ؟ عيناها تسمّرتا في اتجاه واحد تنظران إلى شيء ما في جانب من جوانب الحديقة ... لم تفكّر كثيرا ، حركة خفيفة فتحت بها باب غرفتها واتجهت نحوه ... اقتربت ببطئ كانت قطرات الندى تبلل حذاءها ... بل أن فستانها الجميل تبلل هو أيضا بقطرات الندى التي كانت ملتصقة بحشائش الحديقة وأزهارها ... لم تعبأ بما حصل ... كانت رغبتها متجهة نحو شيء واحد ... امتدت يدها البيضاء الناعمة برقة تتلمس إحدى الورود ، كانت أجمل ما في الحديقة من أزهار ... هل ترى لونها الأحمر هو الذي حرّك في نفس الفتاة الشعور بالحبّ والانجذاب ، أم أن نضارة الوردة ونشوتها بالحياة هي التي حركت فيها الشعور بالرضاء ؟ ليس المهمّ أن يكون الأمر كذلك ، المهم هو أنها أحبّت هذه الوردة ، فأسرعت نحوها دون تفكير ...

فهل نفكّر حين نحبّ زهرة ، أو أي شيء آخر ، حين نحبّ نصاب بلحظة غموض تتنازعها تتغلغل في أعماقنا ، تولد في أنفسنا مشاعر ، أحيانا لا ندرك لها مدى ... فنحن نحب ساعة نقرّر فعلا أن نحبّ ، لكن لحظات القرار لا تكون دائما ملكا لنا ... ها أنا الآن أفكر في الحبّ ، وفي معانيه ،هل تراني أحببت هذه الوردة حين انجذبت نحوها دون تفكير.

كانت الأفكار تتضارب في رأسها ، خواطرها المتشابكة كانت تصل بها إلى انفعالات غريبة فيغيب القرار في جوف القرار ... هذا الصباح أشعر بتحوّل ما في كياني ، فهو صباح غير عادي بالنسبة لي ، يدي تمتد إلى الوردة لتقطفها ... لكنها ترتجف ، قطرة ندى تتجمع من إحدى الوريقات ، تسقط في كفّي ... بل ترى الوردة تبكي ، هل تراها تترجاني كي لا أقطفها ...

شعور بالعطف يسيطر على عقلي ، يأسرني ، يكبّل يدي فلا تقطف الزهرة بعد أن همّت بها

ما أصعب أن نحبّ ، هل يملك الحبّ تغيير المواقف ؟ هل للحب القدرة على التأثير ... لماذا لم أشعر بهذا الشعور من قبل ؟ قطفت عديد الورود والزهرات لكن هذه المرّة لم أفعل ... سأكتفي بتأملها ثم انصرف ، غير أن رائحتها العبقة تثيرني فلات أكاد أبتعد عنها بعض الخطوات حتى أعود إليها ..دهشة طويلة سيطرت عليها ...ترددها واضطراب حركتها، لم يذهب هكذا سدى ... إذ لاحظ عامل الحديقة شرود ذهنها ، وانجذابها نحو الوردة الحمراء ، لم يترك الفرصة تمرّ دون أن يُعبّر عن موقفه تجاه ما رآه منها . كان يرقب حركتها منذ خروجها من الغرفة ... وظل يتابعها حتى كشف عن نفسه ، حين انتبهت إلى ظل شخص غريب ، يقترب منها ببطئ ... لم تتحدّث معه طويلا ... إذ انقطع الحوار بينهما بسرعة لتعود إلى غرفتها من جديد ، قد تكون خافت من انكشاف السر الكامن في داخلها ... لماذا شعرت بالخجل ، هذا الرجل تعودت أن تراه فهي تعرفه جيّدا ، لماذا خافت من مصارحته ... شعورها بالارتباك والوجل بدد الطمأنينة في

داخلها ... ها هي تعود إلى غرفتها لكن غموض مشاعرها ازداد ... أحاسيس غامضة زادت في التهاب مشاعرها ... ضيق صدرها لم يعد يسع ما يجول بخاطرها من مشاعر مضطربة ... يا إلهي ... كثيرات هنّ البنات اللاتي في مثل سنّي ... هل ترى هذا الشعور خاص بي أم انهن يخفين ما يعتمل في صدورهنّ عن الآخرين ... لم تفكّر أبدا مثل هذا التّفكير من قبل ... سوف تراقب صويحباتها وتلاحظ تصرّفاتهن ، حتى يمكن لها أن تستنبط لنفسها جوابا عن كل الغموض الذي لم تعرف له بداية ولا نهاية .... بالأمس كانت طفلة صغيرة تلهو وتمرح ، تعيش حياتها بكل براءة الطفولة وانطلاقها ، كانت نشوتها وسعادتها بالحياة تخفيان عنها حقيقة ما يدور في الواقع إذ كثيرا ما لاحظت تغير سلوك بعض أترابها من البنات ، كانت ترقب انزواء بعضهن ، وتسمع قهقهاتهنّ ، لقد كنّ يقرأن رسائل وأشياء يخفينها بسرعة ، كانت ترى وترقب ، ولكنها لا تفهم من ذلك القليل ولا الكثير ...

هذا كان بالأمس أما اليوم فإنها شعرت بتغيّر عجيب ، ذاكرتها بدأت تشتغل ، تستعيد أمام عينيها شرائط من المواقف والأمور التي شاهدتها وعاشتها دون أن تفكّر فيها ... كان جلّ اهتمامها منصرفا إلى اللهو ... أما الآن فعليها أن تدرك سرّ ما لاحظته ... عليها أن تختصر المراحل كي تفهم بسرعة ما يدور حولها ... هذا الصباح سيكون صباحا متميّزا جداً ... لقد فتحت بصيرتها على انفعالات جديدة وأدركت أن ما يدور حولها ليس من باب الصدفة ، وإنّما هي أولى بشائر الشباب ولم تكن إلا مولداً للحب وفيضا من الأمل المشرق الواعد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تنبّأ رجل وادّعى أنه نبيّ الله موسى ، فبلغ خبره المأمون فأحضره وقال له : من أنت ؟ فأجاب : أنا موسى الكليم فسأله : أهذه عصاك التي صارت ثعبانا ؟ فأجاب : بلى ، فأمره : ألقها من يدك لتصير ثعبانا . فأجابه : قل أنت « أنا ربكم الأعلى » كما فعل فرعون وأنا أصيّرها ثعبانا .

جرح في الذّاكرة

بقلم : الأزهر الصَحراوي

اختار التجوّل على ضفة النهر فقد اعتاد على ارتياد هذا المكان منذ عادت إليه الكآبة تجتاحه من جديد والمحزن أن كآبته هذه الأيّام مجدبة وقاحلة فقد ذهبت باستقراره وصادرت فرحه وألّبت فيه قبائل على أخرى وأججت فيه نار العداوة فانقلب معركة قذرة إلاّ أنّها صامتة لا تسمع فيها صليل السّيوف ولا صهيل الخيول ولا هدير المدافع ... مشى بعيدا مع النّهر تذكّر الأيام المرّة مع السجناء ... توقّف وحملق في الماء الجاري ثمّ قال : « إنّنا لا نسبح في النّهر مرّتين . » وقصد صخرة دهريّة قديمة مزروعة في حافّة النهر وجلس يفكّر كمن لا يفكّر في شيء ، رفع رأسه إلى السّماء ، حاول التذكّر ففرّت كلّ الذكريات وتبعثرت كلّ الصّور ثم أدار رأسه في كلّ الجهات فلم يظفر بشيء فاستل ورقة من جيب القميص ومدّد فوقها القلم ...

حاول أن يرسم للموت مخالب وأنيابا ... تأمّلها فبدت الأنياب معوّجة ومالت المخالب للإنكسار .. بصق ... نظر إلى البعيد وعاد يرسم للخيانة أجنحة وشفاها ... تأمّل ورقته البيضاء وقدلطّخها الحبر ودنستها الخطوط فخرقها وأرسلها فتلا شت وبعد ما قطّر في أذنيه بيت قديم : « إذَا راب الحليب فبل عليه ... « أجهش بالضّحك ونهض ... مشى قليلا استند إلى جذع زيتونة فسرّحت في مؤخرته نملها فارتجّ وعلاه خجل مرّ لمّا تذكّر الخوازيق والقوارير وليالي الشتاء في السّجون العصريّة ثمّ قال كالآئم : « هذه أنت أيتها الحياة ... كلّ شيء فيك يذكّر بشيء ... ملعونة أنت فإنّك حفلة قتل لا تنتهي ... » اقترب من الماء نظر فزاغت عيناه تمدّد على بطنه فرأى وجهه منعكسا على صفحة الماء فقال مبتسما : « حرام أن تظلّ أيها الوجه لي فخذ ما تبقى فيك من فرح وفارقني فليس هنا سوى خراب يناجي الخراب وعدم للعدم يغني ... » ثمّ استدار وأمسك رأسه كالمتألّم فقد زلزله جرح في ذاكرته عميق ... جرح لا يقدر على معالجته لأنّ الضمائد لا تطاله ولا تضمّده ...

حاول أن يتكئ على الزيتونة غير أنّه تذكّر نملها فبصق عليها وقال بصوت مبحوح : « سيأكلك الزّمن يا إبنة الغابة الخائنة ... » ثمّ واصل كمن يحدّث نفسه : « كذبة .. كذبة كبرى صدّقتها حين اعتبرت الجبل أبا الثوّار والغابة أمّهم الحاضنة ... آه أيتها الغابة لقد ركضت أنا ورفيق باتّجاهك ونحن نجتاز الحدود في غفلة من الحرّاس وكان رفيق بدينا وقصيرا وكنت نحيفا وخائفا ... أنا لم أعارضه وهو يقول لي كالآمر : « لا تبكي عينك فالنحيب للمخصبين ... يجب أن نترك كلّ شيء ونهرب بأفكارنا وننجو بأنفسنا وسنواصل المعركة من أيّ مكان ... » ركضت أكثر حينما أحسست بحركة غريبة ونحن نعبر المنحدر .. دخلت الغابة فعانقت شجرة توت كبيرة وأنا ألهث .. التفتّ فرأيت رفيقا مطوّقا بالذئاب .. إنّها ذئاب كثيرة تشبه الكلاب ولكني لم أقدر على عدّها إنّ أحجامها مختلفة وألوانها غريبة .. صار رفيق في قلب

الحصار وتسلقت أنا الشجرة بصعوبة .. نظر رفيق فلم يجدني فنادى بصوت واثق : « إبراهيم تدبّر سلاحا .. حجرا يا إبراهيم أو عصا .. »

سكت كالأخرس كنت جبانا قذرا لم أقو على فعل شيء .. أو لعلّني أحسست وقتها بأوّل انتصار عمليّ عليه فقد كان يحتقر كلّ الأسلحة ولا يؤمن إلاّ بالفكر كسلاح للتغيير غير أنّه تراجع عن ذلك في أوّل معركة عنيفة تعترضه .

.. إنّي صعدت إلى القمّة أنا الحقير واكتفيت بمشاهدة المعركة من فوق .. هجم ذئب شاحب فصدّه رفيق ببسالة وكرّ عليه فهشّم جمجمته بقبضته وصاح مزمجرا فعادت إليّ بعض قوايا وكدت أنزل غير أنّي رأيت ذئبا ينهش لحمة كبيرة من وركه الأيمن فارتعشت وصاح رفيق مناديا : « ابراهيم ... » وارتمى ذئب آخر على عنقه ينهشه فقطع بعض وريده وانقطع عنه الكلام فسقط على الأرض جريحا فقلت وأنا أرتجف : « يا ربي نجّه .. انزل إليه وساعده ... »

جثا رفيق على ركبته وهم بالوقوف ففاجأه ذئب من خلف فأسقطه أرضا وهاجمه ذئبان ... رأيت أشياء كالأمعاء ودماء تفور وسمعت صرخته الأخيرة واشتممت رائحة اللّحم الممزّق وتبلّل سروالي في تلك اللّحظة وغمرتني مياه كثيرة وانتهى رفيق وسكنت حركته وفي ذلك الحين وصلت ذئاب كثيرة فتملكتني الرّجفة واختبأت عني الشمس بغيمة صفراء وقلت : « سأضيع سأنتهي مثلما ضاع رفيق ..

اقترب ذئب من رفيق فالتهم خدّه الأيمن وتقاتل ذئبان من أجل قلبه الذي يلوّح بحمرته من بعيد ... تعرّى رفيق نظرت الذئاب إلى أردافه وأوراكه بشهيّة ... اعتراني خجل مرّ ... لم يحدث أن رأيته عاريا كما رأيته وقتها ... شرعت في الإلتهام فتأكدت أن رفيقا لم يعد رفيقا إلاّ في ذاكرتي وتساءلت ترى أين طارت أفكاره ؟ وأين اختبأ صوته ؟ وأين تشرّدت ابتسامته ؟ وأين هاجرت نظراته ؟

أحسست أنا المتفرج على المشهد المرعب أنّي لم أعد أنا .. ! وفاجأني حرّاس الحدود من خلف فتملّكني طفوليّ ساذج وكدت ألقي إليهم بنفسي وأنا أقول : « الإنسان إنسان والحيوان حيوان ... الإنسان أخي .. » غير أنّ الذئاب لم تهرب من البنادق ورأيت الذئاب الكاسرة هاشّة باشّة ورابضة في حضرة الحرّاس فصعقتني هواجس عديدة ثمّ أنزلوني .

وكانت نهاية رفيق ملحميّة أمّا أنا فأصبحت لا أتذكّر الحادثة إلا وارتعش كالمحموم وأحس بالدوّار .

وضع يده على رأسه فأحسّ الجرح عميقا لا يردم ... إبتسم ثمّ قطّب جبينه كالمتحمس وهمس : الشرخ عميق وهذا الجرح غائر وأنا أحترق في كلّ شيء ...

كذب كلّ الأطبّاء ... نهض فألقى إلى النهر التفاتته الأخيرة فبدا له متعاليا .. لم يعجبه منه هذا التيه والإختيال .. بصق عليه وقال له كالمتواعد : « ستجفّ .. » ثمّ سار منكسرا وهو يسلك طريقا لا يعرف لها نهاية .



رسالة الى مخبر بدوي

شعر : د . خليفة الوقيان *

يـا صديـقـي
أيّهـذا المخبـر البـائس يـا مـن تتـألـم
كلـما جئـت لكـي تسـرق كلمـه
كـلّ عـين هـاهنـا تـرقب خطـوك
وتـرى أنـك لـص
قـد تـركـت الصحب والأطفـال والقهـوه
والكـوخ المهـدّم
وتعـذبت لكـي تصحب أغـرابا غـلاظا

... ...

ياصديقـي يـا ابـن قحـطان
ويـا صرحا تثـلّم
يابـقايـا صفـحة بيـضاء
ياأنشـودة الحـداء
مـحـزونا
وياجـرحـا تـودّم

... ...

وياطـفلا تجـهـّم
يا بقـايـا عـزة الصحـراء
والصحـراء تـاريـخ تهـدّم

... ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فـــاذهب الآن ونـــم
واحلـم بمـا قـــد كنـت تحـلـم
بالـربيـــع الأخـضر الضـاحـك
بالأمطـــار
بالـــســـرح المســـوّم
بابـتسـام البـدر فـي الأفـق
كمعشـــوق تـــلـئـــم
بحـديـث الصّحـب
كالســـكّـــر
عـــن مجـــد تهـشّـــم !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

* ولد الشاعر خليفة عبد الله الوقيان في الكويت عام 1940 . تخرّج من قسم اللغة العربية بجامعة الكويت ونال فيها درجة الماجستير سنة 1974 . ويشغل الآن منصب الأمين العام المساعد للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . وعضو مؤسس برابطة الأدباء الكويتيين . من مؤلفاته : « المبحرون مع الرياح " (شعر - الكويت 1974) . و « القضية العربية في الشعر الكويتي (بحث - الكويت 1977) ..

ضجـــيج الصّـــــمت



شعر : جنّة القريي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كـــلام يجـرّ ذيـــول كـــلام
بـــرأسـي ، وبـركـان شـكّ
ينـــام
وأشـجـــار صـــيـف ،
تشيـح بـأوراقـها الشـاحبات
وتـلوي غصون اعتـلال المـلام

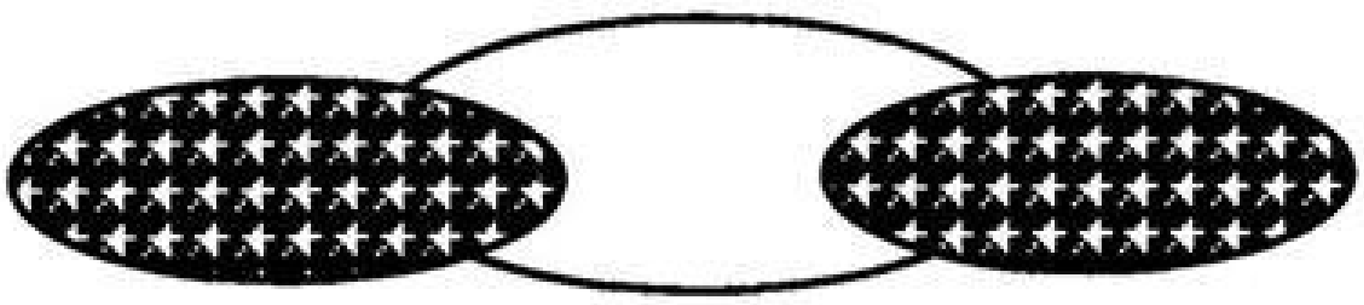
* * *

وجـــوه تطـــلّ ،
وجـوه تغيب بجـيب الظـــلام
يقـــلّ هـــواء فـضاء التـــأسّي ..
ولاشـــي ء ، لا شـــي ء
لا وجـــه ، لا صـــوت

لا هـــاتـفا فـي اصطخـاب السـكون
يــرنّ فتـخبو طيــوف الظـنـــون .
وحـــيدا بـــوكـــر ظـــلال الألـــم
يلــوذ هـــزار الأســـى والقلــق
يحـــدّق فـــي داليـات الهمـــوم
يهـدهـــد نبـضا كجمـــر الحمـيم
يــدقّ بأعـــراق جســـم الـــرهـــق .
فتهمـــي نجـــوم الدمـــوع عليـــه ،
وتصحـــو حقـــول الشجـون لديه ،
فـــتنوي أفـــانـين حلم عـــليـــل
وتهـــوي ثمـــار انتـــظار طويـــل
ووجـه بعـيـد بعيـد بعـيـد
مـــداه يـــزيـح غيـوم الظـــلام
ويـــبقى بعـــيدا بعـــيدا بعيـد
فتـــأتـــي صحاري سمـوم تطـنّ
وأسيـــاف وقـــت سقيـــم يئـــن
ومصـباح صبـر غـريـق يصيح
بـــه جـــنوة مـــن شعـــاع جريح
يضيـــق علـــيّ قميـص اغتـــرابـي
وأزرار صمتـــــي ،
وجلـــد اكـــتـئـابـي
وحـــولي تـــدانت زوايـــا وأضـلاع
جـــدران نفســـي
وشيـــئا فـــشيئـا
تضيـق مســـاحـات صدر المـدى بـــي ،
وفـــوق بقـــايـا ريـاش الغـــناء

تهــبّ أعــاصير فـصل الـشقــاء
ضجيــج يشــدّ لجــام الكـــلام
وعصف يــزخّ لهيــب القتـــام
صـــراخ ... صـــراخ ...
دويّ ... حــطام
* * *
وفـــي البعــد بــرج بروض الصقيع
ونبـض تجمــّد بــين الضلوع
وأزهـــار حلــم تــلاشى شـــذاها
فصارت تـــرابا ...
وأقمـــار سهــد ... تتـــاء ت رؤاها
فســاحــت ســـرابا
ولاشــي ء ، لا شـــي ء
لا عصــف ، لا قــصف
لا غـيـــم ، لا عـتـــم
لا جمـــر يذكـي هشـيم الربيـع
ولكـــن ، شبابـيك شمـــع تلوح
تحــطّ عليها طيــور البـــرد ،
ووجــه تحنــّط فــي نــاظريــه
ضبـــاب الأبـــــد ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



هـــودج المجـــــد

شـــعـــر : فيـــصل الســـعـــد

صوت ذهنـــيّ يـــوقـــظنـــي
لكـــن حـــرفـــي
يتعـــاطـــى أفيـــون الخـــوف
فيثـــور الصوت ويـــرفضنـــي
ـ يـــا نـــاس حـــروفـــي تخـــجلني !

* * *

قـــالـــوا : احلـــم
ذاكـــر أيـــاما عـــربيـــه :
كنـــّا عشـــّاقا لليـــقظـــة
لا يدهشـــنا غـــرز الـــرمـــح المتـــوكـــل ،
فـــي صدر الأعـــداء
فالفـــارس يتـــقن إخـــراس الأصـــوات الهـــمجيـــه
لكـــن يـــذهـــلنا :
ـ سيـــف لا يقطـــع أوردة الكـــفّ المغتصبـــه
ـ خطـــو عربي لا يجنـــي شيئا مـــن تربته المغـــتربـــه
ـ وتـــر لا يـــعزف لحـــن التـــأريـــخ
أتنـــصت ؟ أسمـــع لحـــن الأوتـــار الصحـــراويـــة
فيهـــا لـــون الجـــيل
ـ ملـــح البـــحـــر
همـــس قايـــظنـــي :
نـــوم أو يقظـــة أوردة فـــي الذهـــن تـــراوح مضطـــربـــه .
هـــل اختـــار النـــوم ، الصمت ، المـــوت وقـــوفـــا ؟
أم أركـــب مهـــرة يقظـــتي الخـــجلـــى ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تـتوسل همـس الأحـلام الـورقيـة
كـي يـوقـظ حاضرنا المتـخثّر دمعـا فـي الأجـفـان
حبـري يخـتار حـروفا دمـويـه
تـتدلى مـن فـوق الذهـن العـربـي
كـي يسقـي الـذات المسـبّيه
إصـرار نبـيّ .
* * *
قبـل الفـجـر
أوعـزت لعـصفوري الغـافـي ،
فـوق الضلـع المكسـور بصدري ،
كـي يستـيقظ
يمشـي فـوق الجـرح النـازف
يحكيـه عـن مـاض مدفـون بـالتربـة
علّي أستجـلي أيـام الامـة
أخْجَـلُ .. أُخْجِـلُ كـلّ شعـوب الأرض
المزّقهـا العطـش الـذاتـيّ
وحـاضـرها المطـعون بسيـف الـردّة
مـن يـدر أنّـي بايعـت الحلم الـراقص فـوق الـوهـم ،
يـدر أنّـي أحـوي فـي جعبتـي الـذهنـية ،
فكـرا يعطـي للصمـت الـفـاصل
بـين النـوم المفـروض وبـين الهـم
صوتـا أسمـاه الأحـبـاب
أنـشـودة دم .
* * *
قـبـل الفـجـر
أوعـزت لعصفـوري الغـافـي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فـوق الحـرف المهجـور لينـزف حزنـا ، خـوفـا معجونـا بالطين
وسـأوعـز أخـرى ... ثـالـثـة
حتـّى يتعـلم خـوفـي المجـروح اللـحـن
تتـسمّعـه الـذات الملتـهبـة
إيـه يـا ذاتـي الملتـهبـة :
فـي القـلب حنـين
بـين الـزمـن المتكـرر والـذات المسبـيّة حـزن
شُقّـي أكفـان المـوتـى
غنّـي :
« إنـا أصحـاب التـاريـخ العـربـي
غـنـي ....
غـنـي .....
غـنـي .....
آه لـو غنـّت أصوات الجيل المصطخبه :
« إنـا أصحـاب التـاريـخ الـعربـي »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المجـد بالسـيـف والـقـرطـاس والقـلم
يـأتـي كمـا الهـودج المحمول فـوق دمـي
يخيـط لـي بـردة كـانـت لصاحبهـا
سفـرا يمـازج بـين المـوت والقيـم
ما ملـّنا الـدهـر ، رغـم الصمـت ينتـظر
مـواكبـا ، ربمـا نـأتـي مـن العـدم
جـذورنا تـوقـظ الـلاهـين عـن وطـن
تـذكـّر الخطـو بالإصرار والـقـسـم
ظـلّت عـلى عـودنـا أوتـار أمـتـنـا
إن نـعـزف العـود نجـن الصوت بـالـنّغـم

نمـــا بـــنا الخـــدش جـــرحا لا يخـــاف عـــلى
نـــزيـــف حـــاضرنا الغـافـي علـى السأم
مـــا بلـــّنا مطـــر فـــالغـيم يحـــجبـــه
زيـــف ، ويجثـــو عليـــنا جـــهـــــل متّـــهم
ياذات حـرف حَـوَتْ مـن كـلّ مـرضعـة
همـسا ، عـتابا يـدسّ الصحـو في الحـلم
هـــذي الـديـــار بهـــا غـــزو لمهـــرتـــها
صهيلـها طعـنـــة ، دينٌ لمـــنتـــقـــم
غَنّـــي جحـافـــلنا ، رشّـي حـــناجـــرنا
لحـــنا يـداري غـنانا مـــن سكـــوت فـــم
مـــاعـــاد حلـــم الليـــالـــي يســـتثيـــر بنـــا
حـبّ الحيـــاة فـــسمـــع المـرء فـــي صمـم
وإن صحـــوتم سأصحـــو .. ثـــمّ أنبـــهـــر
إذا غفـــوتم وذهنـــي بعـــد لـــم ينـــم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصيدتـــــان

شـعر : عـيد الدويـخ

* آخـــر الأسئلة !

لـو هـدهـدوك
أتغـفـو
مـن رقـة الـروح أم رقـة الهـدهـدة ؟
لـو غـرّيـوك
أتنـحـو
إلـى البـلاد القصيـة أم نحـو مـن تعبـده ؟
وهـل تـترك المسـألـه ؟

* * *

إذن
لـو علمـوك التـلـوّن
تـرنـو
إلـى البيـاض الطهـور أم تهـجر البسمـلـه ؟
لـو طـوّقـوك
أتجـثـو
كـي تلثـم الـورد
تمسـح دمعـه قـبـلا
أم تكسـر السلسلـة ؟
لو خـيروك أجبـني ؟
هل تصطفـي مـن ريـاض اللحـن أجملـها
يشجيـك رجـع صدى النـاي
أم تعشـق الجـلجلـه ؟
هـل أنـت فـي الصمت طـفل مـن بـراء تـه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غفـــا فـــي الفـــصل يبحـث عـــن ... !

أفـــاق علـــى .....

« مـــاهـــذه المهـــزلـــة » ؟

أم أنـــت ....؟!

مـــن أنـــت ؟

نهـــر تبخَّـــر مـــن تبعثـــره

أدمت ســـياط الشمـــس مجـــراه إذ ..... ؟

حســـنا ..... ســـأبـــدل الأسئلـــة ؟!

* بـــوح عـــطـــرك

مـــازال عطـــرك ساجـــدا فـــي حضرتـــي

ألـــف التـــضـــرع فـــي السجـــود

وأينعـــت منـــه الطيـــوب إذا إرتـــقـــى

حتـــى وجـــدت بـــه التسلـــي عـــن غـــيابـــك

أيـــن أنـــت ؟

ما زال وقـــع تـــذبـــذب النجـــوى

وكـــل معـــارج الـــرؤيـــا حاضرة معا .

حســـنا .

أنـــت إستـــبتـــك إشـــاعـــة

قـــالـــت بـــأن الغيـــم مملـــوء بما لـــذّ وطـــاب

كالعطـــر تحـــمـــلك النـــسائـــم

تـــارة شـــرقـــا ، وأخـــرى للجنـــوب

هـــل مـــات عطـــرك ساجـــدا فـــي حضـــرتـــي ؟

أوَ لَـــمْ ألاحـــظ حـــين مـــات

وكأنـــه منـــح الحيـــاة مجـــددا .

مـــازال عطـــرك كـــاشفـــي

أنـــي إلـــه مـــن ورق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أعقاب

بقلم : منى الشافعي



يقرأ ويتسمع .. تذوب إعجابا بمفرداته ، تتعلّق عشقا بأفكاره ، تناقشه بفلسفته ثم مـــن بين الجد والعمل تسأل :

ـ هل ... ؟

وداخلها يتعجّل الجواب ، تريد كلمـــة حب ، تطفئ بها كبرياء الأنثى وعطـــش المـرأة .

ـ لن أقولها ...

قالها بجدية مبطنة وبكل ثقة وجرأة رددت :

ـ ولاأنا ...!

وكأنّهما في معركة طفولية ينقصها سن النضج ، وكأنّهما عادا عشرين عاما بخطوة للوراء ... يجلس ، تلاحظ انكبابه على أوراقه وسيجارته الأولى نظيفة .. لطيفة بين يديه ، بدأ بإشعالها برغبة واندفاع .. زفر دخانها بلذة المرة الأولى ، تناقصت السيجارة ... زادت عدد المفردات التي تخلقت وارتسمت بزهو على الورقة لحظة وتبعتها أخرى ، بدأ وهج السيجارة ينطفئ ثم يتلاشى رويدا ، رويدا . ويتفاعل العناصر ينتشر الدخان والرماد ... يحس بذلك ... ينتبه .. بلا مبالاة ... يرميها لتستقر في المنفضة الزجاجية الشفافة التي أمامه .

تنظر إلى عقب السيجارة ... وإلى النهاية الحزينة لهذه المادة المزاجية الوقتية لتجدها عقبا خاملا . وقبل أن يتناول الثانية وتستقرّ بين شفتيه المخدرتين ... تنتبه لوجوده مأخوذة بسحره فتبادره :

ـ أريدك ... العمر كله !

ـ يسعدني

ـ علاقاتك .. شهرتك .. المعجبون ؟

ـ وماذا في ذلك ؟

ـ الغيرة !

يبتسم ، يسحب نفسا قويا من السيجارة الثانية الجديدة ثم يمجّ دخانا ويعود يحنى ظهره ... ويسطر إبداعاته .

يباعد بينها وبينه رنين الهاتف ..ترد.. تنشغل .. بعد لحظات تعود ، تفاجئها المنفضة بالتخمة ، أعقاب سجائر ، تعد : ثلاثة ، أربعة ، خمسة .. يا إلهي سبعة أعقاب .. إنّها تعشق هذا الرقم ... سبعة ! تمتصه من أفكاره فتصدمه بالواقع الصريح :

ـ إما أنا وإما ....

ـ أهو تهديد !!؟

ـ كلا ... ولكني أريد الحقيقة ...

ـ لم أتعود الاختيار ، والحقيقة لا تتجزأ ، وأنت أيضا لك مملكة ؟!!

ـ مع اختلاف بسيط ، فمملكتي لا تنافس وجودك سيدا ، لا علاقات ، لا شهرة ولا معجبين .

ـ كلا .. فالفرق أنني أعمّق علاقاتي الحياتية ، فتشعرين بالمنافسة ، ولكني وفيّ ، فالوفاء من شيمي .

تشعر بالإحراج ، تنسحب ، ويعود يعتصر انفعالاته ويودعها الورق ... ينتهي ، يلملم ما كتب .. ينهض ... يتأبط أوراقه وأحلامه .. يودعها ... تشعر بدف ء وحنو يديه ، تستجيب .. ترفع يده تقبلها .. هالة من الضياء تحيط بها ... ينفصلان ... يفترقان .

تعود ليحتويها المكان ، نبضاتها تتسارع ... ابتسامتها تعلو وجهها ... رائحة سجائره تعبق بالمكان ... لا تنفرها ... ترفع يديها إلى وجهها فتشم رائحة عطره .. تنظر إلى القصاصات المتناثرة بغير ترتيب أو نظام والأقلام المنتشرة .. تمسح على وجهها بكلتا يديها .. تغسل بكل هذه البقايا ، وتوزع خليطها ... تنتشي للحظة ... يسكرها المكان ... تهرب للخيال ، تغمض عينيها بجرأة العاشقين ، تبتسم ، تسأل نفسها :

كأنه يحبها !؟ كأنه يعشقها ؟ كأنه يريدها ؟ كأنه يحتاجها ؟ وكأنها أيضا اللاشيء يسبح في خياله .. تذكرت أحد المواقف :

ـ هل ستكتب قصتنا ؟

ـ كتبتها !

ـ حقا .. (أين .. هي) ؟

ـ أمامك ... تنطق !

ـ لا أرى شيئا ! (تلفتت ...)

ـ إنّها مشكلتك وليست مشكلتي ، إنّها أنانيتك وكبرياؤك .. دائما تميلين وفي كل شيء إلى الملموس المحسوس أكثر من إحساسك بالشفافية والروحانيات .

هكذا عندما تسأله طلب الحقيقة ، تصطدم بمفرداته المبدعة العميقة ، فتقف حيالها مثلومة الكلمة والتعبير .. فتنتهي إلى لا شيء ... تيأس من اعتراف صريح ، تخوض تجربة الاستشفاف فتنظر في عينيه إلى أعماقه المشتتة ، فتلحظ اللهفة والحب يفران منه إليها .. هل تظل تجري وراء الحقيقة البينة المهورة باعتراف وتوقيع على الورق ... على الورق .. وربما على ورق سجائر فيحترق .

تفتح عينيها على المنفضة الحبلى بأعقاب سجائره ، تنتفض وكأنّها استفاقت على حقيقة ... تتناول المنفضة بيد ثابتة ، ونظرات سديدة ، وقامة معتدلة ، وقوة داخلية غريبة .. وشعور آخر ... تلقي بالمحتويات في سلة المهملات قائلة تحدث ذاتها :

ـ يا لهذه السجائر المسكينة !!

تنزلق من بين يديها المنفضة تصرخ قائلة :

ـ « لست الملومة ... أريد الإحتفاظ بأعقابي ، إنها فلذاتي ! »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثقب في الجدار

بقلم : ليلى العثمان

كلّ ماهو خارجي يمكن مواجهته ،يمكن مقاومته ، يمكن تحدّيه غير أنّ ما هو داخلي يتطلّب مجاهدة من نوع خاص .

« حنامينة »

هزّت رأسها بشدّة أكثر من مرّة . ونفضت الماء غير مصدقة . فقد ارتطمت عيناها بوجه غير وجهها ، ارتعدت وهي تتحسّسه بكفها المبتلة بالماء والصابون لم تحس بشيء غريب . فعادت إلى المرآة . تفرّست فيها . نعم . إنّه وجهها . ها هما عيناها الضيقتان المنحرفتان قليلا إلى أعلى . وهذان هما حاجباها القصيران ، وذلك هو جبينها العريض الذي تخفي جزءا منه بشعرها ، وهذان هما خدّاها المتلئتان ، وأنفها . نعم هو أنفها الذي تحبه ، وشفتاها ، العليا المنفرجة كشهقة . والسفلى التي ترتمي نحو الذقن كوردة جورية ناعسة . ولكن ! هذا الوجه ليس وجهها رغم كل التفاصيل ، هذه التشوهات التي تملأه من تحت العينين وتلتقي عند مثلث الذقن . لقد صدئ وجهها فجأة وامتلأ بالنتوءات وكأن يدا شرسة غرست مخالبها وشقّت إسفلته الناعم .

ابتعدت عن المرآة وقد أرعبها المنظر ، جففته بالورق الناعم ، وهرعت إلى مرآة أخرى . المنظر نفسه ، أرادت أن تتأكد أكثر . سحبت من أحد الأدراج المرآة « المكبرة » . رفعت وجهها ناحية الضوء ، وقربتها نحوه ، أجل ! المنظر المرعب نفسه ، واللون الصدئ . ارتعشت كفها وسقطت المرآة ، وفي داخلها دويّ يصهل مع السؤال :

ـ ما الذي شوّه وجهي ؟؟

احتقنت عيناها بالدّموع ، أحمرّ داخلهما حتى بدا مثل قلب مفتت ، نكشت شعرها الغزير بعثرت كثيرا منه نحو الصدغين وعلى الجبين حتى غطى الحاجبين وتناثرت ظلاله تحت العينين ، أرادت أن تخفي أكبر قدر من المنظر قبل أن تخرج من الغرفة .

مشت بذلّ شديد نحو غرفة المعيشة ، تخجل من أن ترفع بصرها ، وتحاول السيطرة على خطوتها ، قلبها يدق بشراسة ما اعتادتها ، والرعدة الباردة تتقافز بين مفاصلها كنقر متواصل على سطح خشبي ، ويكاد الدوي يسقط رأسها كله :

ـ كيف سأقابل الناس بهذا الوجه ؟ وكيف سيقابلونه ؟ هل سيرتعبون ؟؟ هل سيفرّون من أمامي ؟؟ وبماذا أجيب لو تقاذفت السؤالات عن سرّ هذا التشوه المفاجئ ؟؟ ماذا سأقول وأنا

نفسي لا أعلم كيف حدث هذا ... ومتى ؟؟ متى ؟؟ ليلة البارحة بالتأكيد ! لقد نامت بعد أن غسلته جيّدا . ومسحت عليه بالكريم المرطب . كان تحت أناملها ناعما سلسا مثل قطعة الزبدة فما الذي طرأ عليه . أي يد امتدت وعبثت به وشوهته ؟؟

جلست على الأريكة وقد انطفأت مصابيح النهار داخل صدرها ، وتفجرت حولها عتمة ظالمة . دخل طفلها الصغير ترقص سنواته السبع أمامها . أسرع إلى حضنها ، التقطت رأسه وشدته إلى صدرها خائفة أن يرفع رأسه ويلمح وجهها فيصيبه الرعب لكنه سحب رأسه ، رفع بصره نحوها ، داعب وجهها بكفه الصغيرة كعادته ، ثم زرع قبلة ذائبة على خدها وعاد يدس رأسه في صدرها هامسا :

ـ ماما ... ياحلوة ... يا ...

حلوة ؟؟ الدهشة تنخرها . لماذا لا يشهق ؟ لماذا لم يطلق صرخة ؟ لماذا لا يقفز سؤال من عينيه ؟؟ هل يرى الأطفال وجوه أمهاتهم جميلة دائما ؟؟ رفعت رأسها إليه ثانية ، خرج صوتها مرتعدا حزينا :

ـ أنا حلوة ؟؟

أو مأ بالإيجاب وأكمل أغنيته الناعمة : « ماما يا حلوة يا أجمل غنوة » .

كانت رنة صوته الطفولي تنساب إلى قلبها فتبكي شراييته ، قبضت بلطف على وجهه احتضنته بين كفيها المرتعشتين ، قالت له :

أنظر يا حبيبي إلى وجه ماما ماذا ترى ؟؟ انسحب كمن ضاق بالسؤال وهو يردد : حلو ... حلو ... وانفلت إلى حيث تساقطت ألعابه وتناثرت منذ الليلة الماضية .

دق جرس الباب ، فكانت الدقة مثل لطمة . من عساه يكون ؟ كيف ستفتح الباب ؟؟ تردّدت ، لكنها قاومت ثقل جسدها وفتحت الباب وهي تواري وجهها ، كان جارها اللطيف ، حياها واعتذر لأنه اضطر لإزعاجها . فهو يريد جريدة الأمس لأنّ فيها ما يهمّه .

قالت :

ـ تفضّل .

وقف عند الباب الداخلي ، أسرعت تحضر الجريدة ، بحثت عنها وهي مرتبكة بين كومة الكتب والمجلات ، وحين قدمتها له نسيت ورفعت وجهها لتعتذر له عن التأخير . فأبتسم لاعتذارها ولم يبد أنه لاحظ شيئا غريبا ، قالت في سرها : ربما هذا الشعر المتناثر ، أبعدت الخصلات جانبا ورفعت وجهها إليه ثانية وهي تغرس نظرتها في وجهه . لكن شيئا في وجهه لم يتحرّك ، فأثارها برودة ... فبادرت تقول :

ـ آسفة ، لن أستطيع أن أعزمك على فنجان قهوة أنا اليوم متعبة جدًا .

دق ثلاث مرات على خشب الباب وقال :

ـ ما شاء الله . صحتك جيدة .

ـ ولكني أحس وجهي باهتا هذا الصباح ومتعبا .

دق مرة ثانية :

ـ وجهك أيضا ما شاء الله صبوح وندّي .

ارتطم الجواب بداخل حلقها . ماذا يقول هذا الجار ؟ ألا يرى المنظر القبيح ؟ هل زال التشوّه ؟ في هذه اللحظة ؟ ودعته . أغلقت الباب وأسرعت إلى المرآة « المكبرة » وعرضت وجهها أمامها . وفجعت . نعم إنّه وجهها المشوّه . تماما كما رأته هذا الصباح في مرآة الحمام فكيف إذن لم يرتعب طفلها . ولم يندهش جارها ؟؟ بقي زوجها . كيف سيكون الوقع عليه ؟؟

دخلت غرفة النوم . كان يغط في نومه مرتاحا حالما لايدري بالعاصفة التي اجتاحت كيانها وتكاد تقصفه . اقتربت جلست على حافة السرير . همست بإسمه تململ قليلا :

ـ كم الساعة ؟

ـ الثامنة والنصف .

تمطّى وتثائب . ورفع جذعه واستند برأسه على ظهر السرير . وأشعل الضوء الصغير ، فخفضت وجهها بسرعة خشية أن تصدمه بالمنظر . وشعرت وكأن الدموع التي في داخلها قد تجمعت في بؤرة عينيها . وستندلق نزيفا أحمر في اللحظة التي يصرخ فيها متسائلا :

ـ ما بال وجهك ؟؟

لكنه لم يفعل . تمطى وتثائب ثانية وخرج صوته معترضا :

ـ الثامنة والنصف . واليوم جمعة . وتوقظين عجوزك المسكين ؟؟

انحدر ثانية ليستعيد نومه . لكن الرغبة في أن يرى وجهها جعلتها تشد اللحاف وتهز ذراعه المعروق :

ـ قم .

سحب نفسه . خرجت آه متعبة طويلة من صدره . ثمّ زفرة ضيق . مط عنقه نحو الباب وسأل :

ـ أين حبيبنا الصغير ؟؟

قالت ورأسها مطأطأ :

ـ يلعب ... ينتظرك .

مدّ كفّه واحتضن كفها الباردة :

ـ ما بالك تخفضين وجهك ؟

تلكأ الجواب . اقترب منها . رفع وجهها تفحصه ثم نبع صوته هادئا :

ـ ما بك هل أنت غاضبة من شيء ؟؟

تحسست وجهها وارتجفت متمتمة :

ـ أحس بألم . أقصد وجهي ... لا أدري ...

اقترب أكثر . لمس خدّها برغبة خشيت أن تتفجّر فيشتهيها في هذا الصباح التعيس ، تطلّع إلى وجهها تأملّه ثم قال :

ـ ما باله هذا الوجه الجميل ؟ إنّه كالعادة ورديّ منتعش وكأنّنا في فصل الشتاء .

ابتلعت ريقها ... ورفعت كفها نحو وجهها :

ـ أنظر ... دقق النظر .

دقت شفتاه على سطح وجهها ، لم ترعشها القبلة وارتشف قبلة أخرى من شفتيها ضاقت بها وصوته مؤكدا يصلها :

ـ وجهك جميل يحسدني عليه كل الناس .

ثمّ تأفّف بغيظ وأكمل :

ـ لا أدري لماذا يستخسرون فيّ زوجة شابة وطفلا جميلا وكأن سنوات عمري لعنة !

هو هكذا دائما يحب أن يتذكر حسد الناس . صرخت :

إنس مرة أنك تكبرني . وأن الناس يحسدونك . دقّق فيّ وجهي .

كانت الرغبة طاحنة في أن يقول شيئا ، يصدر حركة أو دهشة . انتفضت من قربه وأسرعت إلى الستارة شدّتها بعصبيّة بالغة حتى كاد ينقطع خيطها ثم عادت إليه ترطم جسدها بالفراش وتواجه النافذة :

ـ الآن . انظر في الضوء ... ماذا ترى ؟؟

وأقسم لها :

ـ لا أرى إلاّ وجها جميلا كزهرة . ناعما كالحرير . وربت عليه مرتين . أكلها غيظ شديد واندلقت دموعها وهي تغادره ولا تنسى أن تمر على المرآة « المكبرة » تنظر ، وتدقق لتتأكد . فيصفعها المنظر نفسه . الوجه المشوه القبيح . كيف لم يره أحد من الثلاثة ؟؟ هل عميت كل العيون إلاّ عيناها ؟؟

سمعت صوته آتيا وهي تشد على المرآة :

ـ أريد فنجان قهوة .

عندما جلسا يحتسيان القهوة كان صوت الصغير ينساب إليهما :

ـ ماما ... يا حلوة ... ياأجمل ...

ضحك زوجها حتى بان جسر أسنانه وقال :

ـ إبنك يؤكد كلامي .

رشف رشفتين ثم كمن تذكر :

ـ ولكن ما بالك اليوم ؟ ولماذا هذا العداء نحو وجهك ؟

ابتلعت الرشفة الساخنة ، كادت تشرق بها :

ـ لأنه ... لأنه ...

قال مقاطعا :

ـ ربّما تشعرين ببعض الإرهاق نتيجة بياتك البارحة في بيت أختك المريضة .

وأردف متسائلا :

ـ هل جئت باكرا هذا الصّباح ؟

أختها المريضة ؟؟

دلفت الأشياء كلها نحو رأسها ، تشابكت ، تعقدت وكان عليها في لحظة زمن قصيرة أن تجمع الأطراف وتفك الإشتباك ، وتمسك بقبضتيها على ذكرى الليلة الفائتة وأن تشد ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على الكذبة السوداء التي أفتعلتها ونفذتها وكادت تنساها لولا ... لولا ...

صحت من ذهولها على صوت فنجان القهوة يرتعد بين يديها كان قد برد وكأن برودة من جسدها قد تسربت إليه ، بدا وجه القهوة لامعا رقراقا خفيفا بعد أن رسب البن الثقيل إلى أسفل . قرّبت الفنجان . نظرت داخله أسقطت وجهها نحوه . كبر الفنجان أمامها كبر ... صار مرآة مكبّرة . ورأت وجهها بداخله أكثر قبحا فكرهته شعرت بالغثيان المر . أحست وكأن بداخل معدتها آلاف الديدان . تتلوّى . تتشابك ثم تقفز فجأة إلى حلقها وتتدلق في الفنجان على وجهها تبصق عليه فتفوح رائحة عطنة . وتتكاثر فضلات كريهة فوقه حتى صار بلون القيح .

قذفت بالفنجان ، بالوجه الكريه الذي استقرّ فيه ، وشعرت بجدران نفسها تتكسر ، وأسوار قلبها يتهاوى صخرها ، وبالعتمة تحيط بها من كل جانب ، وأيد تمتد بحرابها نحوها وتضيق عليها ... تضيق حتى وجدت نفسها في مساحة صغيرة ، ذبابة ليس أمامها إلاّ مرآة مكبّرة يملؤها وجه مشوّه تراه وحدها ... وتكرهه وحدها ، وتخاف منه وحدها . تصرخ وداخلها يتمزّق وصوت الصغير الحبيب يتنامى إلى سمعها ويطغى على صرختها :

ـ ماما ... يا حلوة .. يا أجمل غنوة ...

أغلقت أذنيها ، نفت نفسها داخل العتمة المحيطة أدركت أنّها البارحة قد حفرت ثقبا أسود في جدار حياتها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأقلام الواعـــدة

إعـداد : عبد المجيد زين العابدين

إنّ الكتابة فنّ نثرا أم شعرا وسواء تمثّل هذا النّثر في قصّة أو أقصوصة أو رواية أو عمل مسرحي أو خاطرة أو تجسّد هذا الشعر بقصيدة عمودية أو نثريّة أو حرّة ، وحتى ترقى هذه الكتابة إلى مستوى تسميتها ، فإنّ من أدنى شروطها وأوكدها أن تكون الكلمة في جميع الأنماط الكتابية لها ألقها كما تكون الجملة فيها مستساغة وموحية ومشحونة بنبع عاطفي أو خيالي أو وجداني .

أجل ، إنّ الكاتب بهذا الاعتبار هو هذا المثقف الذي اجتمعت عنده أدوات الكتابة وتوفرت لديه لغة نقيّة مستقيمة معبّرة وثريّة وأدنى ما يتاح من عاطفة أو خيال ، ومن دونهما فليس هناك كاتب وليست هناك كتابة .

في هذا العصر الصّاخب الذي اضطربت فيه القيم والمقاييس والأنماط الابداعية ، تلوح خشبة بالنسبة للموهوبين في النهل من التراث والأخذ بطرف منه وممّا يمليه عليهم عصرهم هذا من فنون وعلوم . وبهذه الطريقة التي تقتضي الجهاد والتضحية واليقظة يحق لنا أن نمنّي أنفسنا باكتشاف مواهب والاستمتاع بأعمال فنيّة رائعة تخرجنا عن الأنماط التقليدية وتدعونا في تبصّر ورشاد إلى مشاهدة أنماط فنيّة معاصرة تتّضح مواطن جدّتها بيسر .

*** إلى الآنسة سميرة المرسنّي أصيلة الياسمينات بين عروس :**

تلقيت بعض أعمالك أيتها الآنسة سميرة ، فأنست في ثناياها علامات على ثقافتك ورقة عاطفتك وسموّ أخلاقك ، تناولت من بينها نصّا عنوانه : « حين أكتب إليك » وهو نصّ تفوح بعض سياقاته وألفاظه بشذى الشعر إلاّ أنّه في عمومه في حاجة إلى غربلته وتنقيته من الكلمات والجمل البعيدة كلّ البعد عن السجلّ الشعريّ ، أنصحك بالالتفات إلى نصوص أدبية جيّدة والانكباب على قراءتها قراءة متفحصة ومتأنية كانت معاصرة أو تراثية .

بهذه الطريقة تستطعين إفراز موهبتك الشعريّة ،أدرج لك هذا النصّ منقحا ومهذّبا .

ـ حـــين أكـــتب إلـــيك ـ

حين أكتب إليك صديقي
فاعلم أنّ العبارات قديمة
وأنّ الكلام الجميل توارى
وأنّ الحروف تمرّ حيارى

* * *

حين أكتب إليك صديقي
أرى الطّير من كلّ زوجين بجانبي

وكل الفراشات نظير ببيتي
ومن كل ثغر تطل قصيدة

* * *

حـين أكـتب إليـك صديقي
تنـــام كـــلّ الستـــائـــر
وتحلم بالشمس كـلّ الدفـاتر
فـأنـظر للغيـمة العابـرة
وأكتب شـــعرًا بلـون السّماء
فتشرق شمس الوفاء الجميلة

* إلى الشاب محمد بوســـتة

قرأت لك نصّك : « هل آخر من يموت الأمل » ولاحظت فيه علامات نضج وتمكن في قول الشعر وذلك في جميع مقاطعه . فاللّغة مستقيمة والصّور شعريّة . أشجعك وأرحب بانتاجك .

أدرج لك في هذه الحلقة قصيدك : « هل آخر من يموت الأمل ؟ »

هل آخر من يموت الأمل ؟
كان لنا فيما مضى منـزل
وكـــانت أمّي كل ليلة ،
تصارع الخيطان بالمغـزل
وكان لنا على وجه الجدار ،
صورة والد مات ذات ليلة
اغتـــالتـــه التيّـــار ،
وجلد معزاة وقرن غـــزال
وبنـدقيّـة ومســـمار ،
نعلّـق فـيه المصبـــاح

* * *

كنـت فيـما مضى أنـام
أنـام ولا أنـــزع الحذاء
أنـــام وأفتـــرش الهواء ،
أحلـم بالجّـبن والتّمر ...

* * *

فيـما مضى تمنـيت أن أكـبـــر
لأكسر « الحصّالة » وأشتري لزينب
العـــسل والزّبيب وعـرائس السكّر

تمنّيت أن أحمل البندقية
لأثأر لوالدي من التيّار !
* * *
تمنـيـت أن أرى أمّـي
« وداعـا ياسنين المرّ »
ومرحا ياسنـين المـــطر
تمـنـيـت أن أراهـــا
* * *
تلبس الجلبـاب الأسـود
فسـتانا بلـون الـزهـــر
* * *
فيما مضى تمنيت كثـــيرا
وسافرت عبر المرايا كثـــيرا
ملأت جرابي الصغيـــر صور
نقشت على دفتري معنى القمر
فهل آخر من يمـــوت الأمـل

*** إلى الشاب هاني يوسف أصيل قصيبة المديوني**

إنّ نصّك المنظوم وعنوانه : « رسالة عاشق » يدلّ على تمكنك من الوزن التقليدي ، فقد جاء على بحر المتقارب وقد اجتهدت في اتّباع هذا الوزن في كامل أبيات نصّك هذا سواء في الصدر أو في العجز جريا على النسق الخليلي إلاّ أنّ الاختلال يظهر في عدة مواطن منه . من ذلك صدر البيت الأوّل من القصيد وخاصة في تفعيلته الأولى وهذا عيب نعدّه كبيرا خاصة وأنه يرد في مطلع هذا القصيد فقد كان يخف حمله إذا رود في وسطه أو خاتمته ،أرى تصويبه بهذا التعبير : « عليك سلامي أحلى سلام .

ومني عليك يفيض الكلام »

سلامي يجب أن يكون حرف الياء متحركا بفتحة حتى يستقيم الوزن أدرج لك أربعة وعشرين بيتا في هذه الحلقة بعد تنقيحها واعدا إيّاك بنشر الابيات المتبقية بعد اصلاحها .

- رسالـة عـــاشق -

عليك سلامي أحلى ســلام ومنّي عليـك يفيض الكـــلام
فحبّك عشش بين الضلـوع وحبّك خلّد أحلـــى الوئـــام
سعيت إليك بكـل الأمـــل أجوب البحار أرود الغمـــام
وتهت وحيدا على أرضـــك وأوغلت في الحبّ حتى الهيام
فكنت أسيـــرا لشطآنـــك وكنت أسيرا لذاك الســـلام

يغازلني سحـــر أنسامـــك ... ويملأ روحـــي بعـذب المـدام
ويطرب قلبي لوقـــع المطـر ... ويحلو النشيد ويحلو الكـــلام
ففيك ومنـــك تفيـض لنـا ... سيـــول الحنان تهزّ الأنـــام
وقلبي يحـطّ علـــى قلبـــك ... فيبحر فيـــك بدون فطـــام
ويرحـــل بين ثنايـا الطفولة ... ويشقى بحبّك حتى العظـام

* *

ولي فيك حبّ جميلبب المحيا ... ولـــي فيـــك حبّ نما فـــــي
تسافر روحـــي لواحـــاتك ... وتطلب دفء حيـاة الـــكرام
وتجلس عند الأصيـــل تغنّي ... غناء العذارى لبدر التّـــمام
أحبّك ـ تـــونس ـ حـبًا علا ... فصار لقلبي أقـــوى لجـام
وعشقك هام بكـــلّ خيـالي ... وفيك حبيب أنـا ...لا ... ألام
سرى حبّك في عروقـــي دما ... وسرت إليـــك أريد السّلام
لئن لم تكوني بلادي وأرضي ... لكنتِ الهـــواء وكنتِ المـدام
وكنت إليّ دما في العـــروق ... وأصبحتِ نورا يزيح الظلام
أنا راحل في ثنايا الغـــروب ... أجوب ضفائر سرب الحمام

* **إلـــى الآنسة سعيـــدة العـــربـــي :**

نصّك : « كوني صديقتي » ينبض عاطفة إلا أنه يخلو في جملته من الايقاعات ويغيب فيه الوزن تماما باستثناء ما ألحظه من أسجاع تختتم بها الجمل أو الأسطر فيه .

حاولي العودة إلى التراث في النثر والشعر أيتها الآنسة سعيدة وستدركين مدى استفادتك بنصوصه النثرية والموزونة إذ أنك من ناحية أولى تتعوّدين سماع الكلام الموزون ومن ناحية ثانية تقفين على لغة ثرية ومستقيمة .

أنشر لك بعض مقاطع نصّك هذا آملا أن أجدك قادما أقدر على اقتناص الكلمة الشعرية المعبّرة في لغة سليمة وبليغة .

ـ كونـــي صديقتـــي ـ

كوني صديقتي
فوحدتي أرهقتني
وجراحي غائرة إلى حدّ النّزيف
والماضي يسكنني كشبح مخيف
* * *
كوني صديقتي
ولفّي كتفيّ
في حرير لمساته
فأنا اندثرت بين كلّ النّساء
وتهت عنّي وعن أحلى الأشياء
* * *
لفيني بذراعيك الحميمتين
فأنا بحاجة إلى جناحين من نور وبهاء
يرحلان بي إلى أعماق الأرض أو السّماء

* وعلـــى هـــذا أودّعكـــم أيّهـــا الأصدقـــاء آملا أن ألقـــاكم فـــي حلقـــة قادمـــة .

أيّـام الإبـداع الأدبـي بـزغـوان

قراءة في الفعل الثقافي ممارسة وآفاقا

بقلم : بلهوان الحمدي

تعدّد أيّام الإبداع الأدبي بزغوان أهدافا خمسة تطمح إلى بلوغها وهي كما يلي :

1 ـ إيلاء النشاط الأدبي ما يستحقه من اهتمام إلى جانب الأنشطة الثقافية الأخـرى لإضفـاء التنوّع والشّمولية على نشاط المؤسّسة وما تقدّمه لروّادها .

2 ـ إتاحة الفرصة للمبدعين المحترفين والهواة للإلتقاء وتبادل الخبرات والتجارب .

3 ـ تمكين الأدباء الهواة من منبر يسمح لهم بالتعبير عن مشاغلهم الفكرية والتعبير بانتاجاتهـم الأدبيّة المتنوّعة .

4 ـ تمكين الأدباء الشبّان من فرصة للتكوين اللغوي والمنهجي لمزيد التحكّم في أدوات الكتابة

5 ـ تمكين الجمهور التّلمذي والطّالبي من التعرّف عن كثب على المبدعين في المجال الأدبي وتحريك هممهم لإقتحام هذا الميدان ضمانا لتواصل الإبداع .

هذه هي منطلقات نادي الإبداع الأدبي بزغوان في هذه الأيّام الجميلة توقا وأملا حينا وخيبة وقلقا أحيانا . فبين الكائن والممكن والمنطلق والأسلوب والنّوايا والنّتائج مسافة كالتي بيني وبيني : ذلك هو الفعل الانساني لا يكتمل وتلك هي جدلية المظهر والجوهر .

يمكن تناول المسألة بطرح سؤالين (كيف ؟ ـ لماذا ؟) ومحاولة ملامسة بعض جوانب الأيّام الأدبيّة التي انعقدت في مدينة النّسرين ومعبد المياه والحنايا والمواقع الأثريّة الكثيرة ...

1 ـ المدخلات العلميّة :

اقتصرت على محاضرتين للأستاذ الشاعر الأزهر النفطي والدكتور الباحث مبـروك المنّاعي .

1 ـ المنثور والمنظوم في الشعر التونسي المعاصر ونظريّة الأدب المعاصرة في قراءة الشعر : الأستاذ الأزهر النفطي

أ ـ **النّقد** : هو التمييز ومقايسة النّصوص لفرز الصحيح من البهرج . فالنظريّة النقدية بحث في ماهية الكلام . فالشعر خضع لنظرية النّظم للجرجاني وهو عند ابن خلدون « فنّ شريف عند العرب » من حيث هو ديوان علومهم وأخبارهم .

ويتناول شروط النقد والنّاقد ويحدّدها فيما يلي : النّاقد فنّان يمتلك قدرة على الإحساس والتذوّق: « إنّ النّقد ثقافة ونوق . ولا يكون النقد نقدا بدونهما »

أمّا النّقد العربي الحديث فقد مرّ بثلاث مراحل : البعث الشعري ـ المدارس التّجديديّة ـ التّنظير

ب ـ **الشّعر** : عالج الأستاذ النفطي القصيد من حيث هو انزياح قائم على الرّمزية والاستعارة بخلاف اللغة السرديّة في القصّة والرّواية .

وتناول قصيدة النثر التي ازدهرت في الستّينات وأواسط السبعينات بواسطة شعراء مدرسة شعر في « الآداب » (أنسي الحاج ـ يوسف الخال ...) وشعراء من تونس (الطاهر الهمامي ـ مختار اللغماني ومحمد أحمد القابسي وفضيلة الشابي ...) وقد حاولت جماعة قصيدة النثر الإمعان في التحديث والبحث عن بديل لتوسيع فعلي في الكتابة الشعريّة وبالتالي تأصيل النص الجديد والذّات في نفس الآن .

ومن خصائص القصيدة الجديدة هذه والتي يمثّلها أدونيس شعرا وتنظيرا : الغموض الدلالي والتجريب . ماهي مواصفات هذه القصيدة : ترزح تحت الحيرة والسؤال الابداعيين ؟ فهي صياغة للظاهر برموز خاصة مكسرة الاتجاه الخطي وتنأى عن التنظيم المسبق . إنّها تتبنّى نظام الفوضى الفنيّة . الغموض في قصيدة النثر ضرب من الكثافة هو طرق على مسامع القارئ للخروج به من صديد الوهن . فهي إجابة ممكنة على أسئلة الطرف وانخراط في التّاريخ .

بعد هذا العرض المختزل جداً لمداخلة الأستاذ الشاعر « الأزهر النفطي » نهمس قائلين : التّيسير قليلا في مادّته والنّأي قليلا عن المحاضرات المتخصّصة جداً والمناهج الصارمة جداً ـ رغم أهميتها ـ احتراما للمتقبّل وللشعر ـ وهو ينفلت من المناهج الجاهزة الجائزة أحيانا .

2ـ الابداع الفنّي ـ الأدبي : الأستاذ مبروك المنّاعي

أشار بدءا إلى اهتراء مصطلح « الابداع »

الإبداع = الإتباع

أ ـ الإتباع : يثير التّهجين والتّحقير إلاّ في الدّين

فـ « التّبيع » هو ولد البقرة في سنته الأولى

و « التُّبَعُ » الظلّ أو زير النساء

ب ـ الإبداع : مفهوم عام : وهو كلّ فعل إنساني راق فيه تجديد وتفرّد وإضافة

* الجدّة : إحداث في الزّمان والمادّة والقيمة

* العمليّة الإبداعية : تمرّ بمراحل هي التحفّز والإشراق والحدس والتحقيق

* عوامل الإبداع : الذكاء ـ رهافة الحس ـ مرونة الفكر ـ القدرة التأليفية العالية ـ الكدّ والتركيز الحاد

* مجال الابداع : العلم وهو تعبير عن مادّة خارجية والفنّ وهو تعبير عن الانساني الداخلي والنشاط الابداعي طفرة وشخصي في ميدان الفنون ونتيجة تراكم وبحث في الميدان العلمي أمّا في الشعري فالإبداع بيان وإحداث في اللّغة والبديع

ج ـ عوائق الإبداع : وأهمّ عنصر في المداخلة حسب منظوري صنّف الأستاذ مبروك المنّاعي عوائق الابداع صنفين :

* ذاتيّة : وتتلخص في : إغراء القديم إلى حدّ الذوبان فيه أو الغربي فيكون الانفصام ـ ضعف التكوين : وهنا تأكيد على أنّ الأدب شيء من الموهبة وكثير من المعرفة والثقافة .

« إنّ الزّعم مطلوب لكن العمل مطلوب أكثر » يقول المحاضر التّواطؤ الغير واعي بين الشاعر والجمهور . وهو تواطؤ يقوم على وهمين ويسقط الشعر بفعلهما .

* موضوعية : لخصّها فيما يأتي : تنفيه للجيّد وتقديم للضّحل ـ الثقافة المشهديّة والسمعيّة السائدة ممّا قلّص دور الكلمة المكتوبة إذ الشعر يزدهر إذا مابطلت اليد ـ تطوّر التشريح والعري ـ امتصاص الشارع الشعر من الشاعر (صور ـ اشهار ـ أزياء ـ رقص ...)

ملاحظة : بدا الدكتور مبروك المنّاعي سجين تخصّصه الأكاديمي (الشعر العباسي : المتنبي ـ أبو نواس ـ أبو التمّام ...) لكنه كان جريئا ومبدعا طفرة وتراكما لأنّه عدل عن سنّة المجاملات والمخادعة المقيتة التي تحفل بها كثير من التظاهرات الفلكلوريّة .

2 ـ من داخل النصّ : هو الواحد المتعدّد . هي نصوص أزعم أنّها مشحونة بالمعاني ، مقاطع محمّلة بالأصداء الدّلالية والرّمزيّة . إنّها تقوم على المجاز الذي يحيل من شي ء إلى آخر ويرتحل بنا من عالم إلى عالم . هي كون من المتاهات و « لكل عمل فنّي قيمته وخصوصيّته ونسيجه اللّغوي » كما يقول ماركس .

1 ـ يقول ابراهيم بن قبلي ـ زغوان : تسألني طفلتي الصّغيرة / ترى أبي / كم وجه للحقيقة ؟!/ قلت / وجهان ياحلوتي الرّقيقة / كدرهم السّلطان / كالمسجون والسجّان / كالصّقر وطائر السمّان / كالعام واليوم والدقيقة / هلاّ فهمت الدّرس ياحلوتي الرّقيقة / بلى أبي لكن .../ كم وجه للحقيقة ؟!

2ـ هستيريا الحبّ : مكّي الهمّامي ـ جماعة فوق السور ـ بنزرت :

أيا امرأة / تزخّ الرؤى .../ ويخجل من خدّها الله / يهمي على مقلتيها سحاب ألق .../ أنا من يموت إذا عشق / أيا من على كفّها يستريح القلق .../ لنا ما تبقّى من الوهم كي نحترق

3ـ أحمد السلطاني : كلية الآداب سوسة

صباحا في المشرب الجامعيّ / حين نلتقي أوّل مرّة / صباحا حين يعلو الشّعاع / تطلب لي قهوة ساخنة / تركض في مياهي / ثمّ تشعل في قلقي / سجائرها الفاخرة / أقول لها لا تفزعي / في شرفتينا ستبطأ / الشّمس كثيرا / ويغيب تماما ذاك الوداع / لكنّه سريعا يلقي الأستاذ الجديد درسه / ويدقّ من خلفنا / جرس العاشرة

4 ـ حسن الكحلاوي : سبيطلة : يقول في نشيد رثائي لصديقه اللّبناني عبد الرّحمان الذي أصابته شظية صاروخية طائشة كالبؤس الظلامي في كلّ آن ومكان :

كنت انتظرتك ثمّ قلت / سنشرب الشّاي المهيّل ثمّ نرسم وجه ماري / أو سنرسم عريها / وسأحضر الباستيل والورق المقوّى / ثمّ نرسم لوحة كنّا رسمناها مرارا / واحترقنا ...

3 ـ هوامش على تجربة : حاول المشرفون اعتماد نظام الورشة وهو نظام يقوم على آليات معروفة أو هكذا يفترض :

1 ـ معرفة ودراسة جيّدة للمادّة الأدبيّة المقدّمة (شعر ـ قصّة ـ مقال) من المشرف على الورشة وهذا يستدعي تمكّنا واستعدادا نفسيّا ومرونة فكريّة وروحا نقديّة .

2 ـ قراءة النص ومناقشة أهمّ مرتكزاته وعوامله : اللغة في أجناس الكتابة الثلاثة + الايقاع والصورة في القصيد + البناء القصصي في القصّة القصيرة (السرد ـ الوصف ـ الشخوص ـ الحدث ...) أمّا في المقال فيمكن معالجة المنهجيّة وأهميّة البحث والمرجعية المعتمدة ....

3 ـ تعليق الأستاذ المشرف على النصّ المقدّم لتنبيه الشاعر أو القصاص أو الباحث لمواطن الخلل والوهن أو بعض مواطن الإبداع والجمال في المادّة المقدّمة

هذه بعض تقنيّات الورشة التي بدا للمشاركين أنّها غيّبت وهم محقّون في اعتقادهم ، ففي المقال لم تقرأ البحوث المقدّمة رغم أهميّتها ولم تناقش تبعا لذلك والسّبب أنّ المشرف لا يؤمن بنظام الورشة أصلا وربّما لم يطّلع على المقالات !

أمّا في القصّة فالأمر أفضل بكثير أنقذت الأستاذة حياة الرّايس الجلسة من فراغ قاتل و « دردشة » ثقيلة تنأى عن العلم والابداع الأدبي . وبما أنّ عامل الزّمن نكرة فقد أتت المبدعة الرّايس متأخرة جدّاً . لكن مهما يكن فقد حاولت تدارك الأمر وأفلحت نسبيًا في مقاربة بعض المحاولات النثريّة من النّصوص المتميّزة التي تطفو على سراديب الرّداءة وتشعل فتيل الرغبة والمغامرة الابداعيّة :

شعرا : نوافير الدّهشة (المكّي الهمّامي ـ بنزرت) شطرنج (حسن الكحلاوي ـ القصرين) الأيتام يعودون إلى قبيلتهم كل حرب (أحمد السلطاني ـ سوسة) زخارف على جسد النسيان (أحمد فهمي التركي ـ أريانة)

قصّة : عبد الرحمان الهيشري (بيدق في مملكتي) فتحية النصري (صندوق قديم) الأزهر الصحراوي (وقائع اللّيلة الأولى) ...

أخيرا نشدّ على يدي مدير دار الثقافة المنجي والأستاذ صبري بن حسن والشاعرة مريم فتاة زغوان الجميلة قلبا وقالبا والشيخ الشاعر « الجرادي » أنيقا ظريفا مركّبا غامضا جليًا وعابدا معبودا . ماذا أيضا ؟ نعلن أنّنا نسهم إنطلاقا من حقل الأدب في دعم الحركة الفكرية وترقية الحسّ الفنّي ورفد العمل الثقافي عموما على أساس من العلم الرّصين والنّقد البنّاء والمساطة الجادة في زمن الارتباك والانهيار الذي يخيّم على مساحة شاسعة من الثقافة العربية . مساحتنا لا تزال تحتفظ بالعافية وتصدّ الأوبئة : قبضة العدم ـ اليقين المغلق وسيادة الضّحالة ... والمجد للأدب الخالص وللمبدعين .

ARCHIVE

الملتقى الوطني الثالث للأدباء
العصامين سوسة 5-6-7 جانفي 1996

إعداد: عبد المجيد يوسف

دارت ، في التاريخ المذكور فعاليات الملتقى الوطني الثالث للأدباء العصاميين بتضافر جهود المندوبية الجهوية للثقافة والمركب الثقافي بسوسة والمنتدى الأبي بها .

وقد تميّز اليوم الأوّل بالجلسة القصصية التي عقبت كلمات الافتتاح ، ويمكن التوقّف ، خلال هذه الجلسة على مشاركتين متميّزتين إحداهما لبلهوان الحمدي (قاص من قرنبالية) حيث تميّزت قصته بطرافة الموضوع وامتلاك جيّد لفنيات القصة القصيرة . أمّا الثانية فهي للقاصّة الشابّة سمية مبروك الشامخ الوافدة من المطوية بولاية قابس ولا يتجاوز سنها الخامَسة عشرة ، حيث أبهرت الحاضرين بامتلاك ظاهر للغة وإتقان للتصرف فيها ، وإن كان موضوعها لا يتجاوز مسألة التوجيه الأخلاقي والإحساس الحادّ بخصوصية الأنوثة والوعي الخاص بالمرأة ضمن التركيبة الأخلاقية للمجتمع ، ولا شكّ أنّ مسألة امتلاك فنيات الكتابة القصصية لا تعدو أن تكون قضية وقت لا غير بالنسبة إلى هذه القصاصة الشابة ، وسوف تتدارك نقائص الكتابة بتعمّق التجربة .

أما الجلسة الليلية فقد خصصت للشعراء حيث قرأ بلقاسم بن سعيد المشرف على نادي الإبداع الأدبي بسوسة كما قرأ عبد العزيز الحاجي ونزيهة الجديد وشلبية العشاش ومعز العكايشي ونجاح الحربي وجميل بن علي وآزر خيري ... أمّا اليوم الثاني فقد تميّز بشهادة مصطفى الفارسي ، وكانت هذه الجلسة مناسبة لالتقاء الأجيال الأدبية في تحاور ، قد يدل على التغيير الطبيعي في الرؤى ، لكنه لا يدل على وجه من وجوه القطيعة وانقطاع التواصل بين الأجيال الأدبية .

في الجلسة المسائية ، كان اللقاء في بهو المركّب ، بعد أن ضاقت قاعة الرقص عن استيعاب الحضور في اليوم الأوّل . وقد تناولت مداخلة الاستاذ المنصف وناس علما من أعلام الأدب العصامي العربي وهو عباس محمود العقاد ... وفي معرض مداخلته عرف الاستاذ العصامية على أنها التكوّن المعرفي الذاتي وغياب التحصيل المدرسي الأكاديمي .. وتتبع تمظهرات العصامية في إنتاج العقاد وشخصيته وقناعاته حول الإنسان والحضارة ، مستخلصا ثلاثة محاور من تجربته وهي : دور العقل في بناء الذات وتشييد الحضارة باعتبار أنّ هذا العقل هو المرجع الأساسي المعتمد ، خارج الاتجاهات السكولستيكية ، والثاني أن الحضارة بناء فردي ينجزه الفرد بذاته وانسانيته خارج التركيبة الجَمَعية والثالث هو دور العبقرية في العمليتين السابقتين ، وهذا ما حدا بالعقاد إلى تتبع ظاهرة العبقريات في الحضارة الانسانية فألف في ذلك تسعة مؤلفات .

وتركزت محاضرة الأستاذ التهامي العبدولي على وضع العملية الابداعية بين الاتباع والخضوع للنمط من جهة والبدعة من جهة ثانية باعتبارها ابتداعا وتجاوزا ، وانتصر المحاضر في النهاية إلى النزعة التغييرية لأنّها المجسّمة لحرية المبدع . وتلا المحاضرتين نقاش مستفيظ دلّ على يقظة النسبيّة الأدبية ووعيها بدورها في بناء الفكر الحرّ .

وكانت هذه الجلسة مناسبةً لتولي السيد والي سوسة توسيم الروائي فرج لحوارنياية عن سيادة رئيس الجمهورية بالصنف الرابع من وسام الاستحقاق الثقافي ، وقد تولى السيد عمر سعيدان رئيس فرع اتحاد الكتاب بسوسة تقديم ترجمة ضافية عن المحتفى به . ثم وقع تكريم الشاعر محي الدين خريف وتولى الاستاذ نورالدين الجريبي تقديمه للجمهور ، ثم تلت جلسة التكريم قراءات شعرية لمحي الدين خريف ونزيهة الجديد وعبد العزيز الحاجي ، وتغيبت جميلة الماجري .

وفي اليوم الأخير ، كان من المفروض أن يحاضر خليل قزقز عن « الابداع والنمو » ، لكنه تغيب لأسباب صحية ، فكان أن عوّضت المحاضرة بقراءات شعرية حيث تمكن من لم يقرأ في الجلسات السابقة من تقديم إنتاجه ، فقرأ أحمد السلطاني ومحمد الحامدي وعبد المجيد ابراهم وعبد المجيد يوسف وعماد الحضري وغيرهم ... واختتمت فعاليات الملتقى في حدود منتصف النهار .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هـوامـش :

- كان أفراد المنتدى الأدبي المشرفين الفعليين على سير الجلسات ، ومن العناصر البارزة الكثيرة الحركة الطالب جميل بن علي
- إحدى المشاركات ، الآنسة نجاح الحربي من النادي الأدبي بزغوان كانت عنصرا بارز الحضور من خلال مشاركتها المتنوعة بالشعر والقصة والمقال والخاطرة .
- الشاعر فاضل المهري (من النادي الأدبي بالمنستير) خرج إلى منصة الإلقاء فذكر بتأجيل قراءته مرارا لضيق الوقت ، ولما أتيح له أن يقرأ ضاق صدره ، وامتنع عن القراءة ... ثم عاد فقرأ ، بأريحية الشعراء وسماحة طبعهم
- كان حضور القصيد العمودي بارزا في الملتقى فقد ألقى محي الدين خريف وفاضل المهري وعبد العزيز الحاجي والمكي الهمامي قصائد عمودية ـ وقصيد المكي الهمامي كان من أورع ما ألقي من شعر
- إذاعة صفاقس كانت حاضرة في شخص الصحفي النشط علي المرزوقي الذي استغل التظاهرة ليسجل أحاديث لبعض الشعراء المشاركين
- جهة الشمال كانت بارزة الحضور في أشخاص علي ميزعية وعبد المجيد ابراهم من باجة والصحبي العلاني من جندوبة ـ أمّا بنزرت بناديها المتعددة فكانت غائبة تماما
- تجلّى في هذه التظاهرة أنّ الأدب الشبابي بخير ، وأنّ شباب تونس لا ينحصر اهتمامه في ما هو فضول وميوعة ... هناك شباب همّه الفكر والقراءة وانتاج الثقافة .